نزار قباني

لا شيء إلّا العشق

قدّمت له
أحلام مستغانمي

نوفل

نزار قباني

لا شيء إلّا العشق

قدّمت له أحلام مستغانمي

نوفل

حقوق النشر

جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2022 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، ٢٠٢٢
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
instagram.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطّي مسبق من الناشر.

إعداد: **جوني كارليتش**
تصميم الغلاف: **داليا ضاهر**
تصميم الداخل: **ماري تريز مرعب**
تحرير ومتابعة إعداد: **ليلى مرهج**
متابعة نشر وعلاقات عامّة: **ميرنا باسيل خليفة**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-469-816-7
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-469-817-4

القُبل تُزهر شعرًا على أصابعِ الشعراء

ليس عجبًا أن يختم نزار قبّاني حياته بطلب كوبٍ من الماء. فنزار حالة ناريّة، قبل أن يكون حالة شعريّة. إنّه من سلالة بودلير، الذي كان يقول ليُثبت غرابته، إنّ أوّل كلمة لفظها عندما بدأ النطق كانت «ALLUMETTE» أي (عود كبريت).

من أين لنزار تلك النزعة لإضرام النار في تلابيب النساء اللواتي أحببنه أو أحبّهنّ، في أثواب أحلامهنّ، وفساتين سهراتهنّ، ومناديل بكائهنّ، وكلّ ما لبسنه لموعدهنّ الأوّل معه، أو ما نسينه لديه بعد موعد حبّ؟

كيف اشتعل بمجيئه قطار الشعر، هو الذي تسلّل إليه ليفخّخ محطّاته بكلّ المتفجّرات والممنوعات، تاركًا الناس خلفه خائفين مهرولين، مُحمَّلين كلّ بدلوٍ من الكرامة، لإنقاذ شرف الكلمات التي عاشت عصورًا على النفاق.

ما من مدينة أحبَّها أو مَـرَّ بها إلّا شَبَّ فيها حريق، وما استطاع رجال الإطفاء، العاملون على حفظ التقاليد وضبط السلوك، من أجلها شيئًا.

ذلك أنّ نزار لم يكتب يومًا بأصابعه، بل بأصابع الديناميت التي كان يعدّها لنا بنيّات إجراميّة، وبكلّ عناية شعريّة، كما تلفّ النساء في كوبا السيجار الفاخر على حجورهنّ.

كان نزار يدري بأنّ عظمة النار في كونها تحرق وتحترق، وأنّه لا محالة محترقٌ بما يكتب، ولكنّه ما كان يخاف اللهب، فلا عدوّ غير الرتابة والبرودة للشعر.

أنت يا صديقتي «نقيّة كاللؤلؤة»، «باردة كاللؤلؤة»، «وأنت يا سيّدتي من بعد هذا كلّه»، «لستِ امرأة».

والآن وقد توقّفت تلك الانفجارات التي كانت تدوّي مع كلّ قصيدة يزرعها نزار تحت مخادعنا، نكتشف لماذا من بعده ساد العالم صمتٌ شعريٌ رهيب... ليس فقط لأنّ شاعرًا كبيرًا قد رحل، بل لأنّ وهمنا بالشعر قد انطفأ، ولأنّ من كان يجعل من تفاصيل حياتنا العاديّة حالة شعريّة لم يعد هنا.

مُـذ رحل نزار قبّاني، ونحن نحاول إنقاذ النار التي أشعلها فينا ذلك الطفل الزوبعة، الذي حيث مرّ اشتعل بمروره فتيل الشعر.

نقف مندَهِشين أمام رمادنا من بعده. لماذا خالفنا نصائحه ورحنا نؤمّن على حياتنا ضدّ الحرائق العشقيّة؟ لمَ جَبُنّا؟ وما نفع حياة يحكمها الخوف من الحبّ وعلى الحبّ؟

قـــال «إنّ المبدعين خُلِقوا ليزرعوا القنابل تحت هذا القطار العثماني العجوز، الذي ينقلنا من محطّة الجاهليّة الأُولى، إلى محطّة الجاهليّة الثانية» وأثناء زرعه تلك الألغام، نسف نزار كلّ الشعراء الذين ركبوا قطار الشعر من دون تَذاكِر، ومن دون أن يدفعوا مستحقّات هذا اللقب، وعاشوا مُعلّقين بأبواب القطارات والمهرجانات الضوضائيّة.

رحل وهو يحاول تحرير آخر قصيدة من أيدي مرتكبي الجرائم الشعريّة. رحـل وهو يحارب لإنقاذ آخر أنثى قبل وصول التتار. سقط وهو يحاول إصلاح العطل الأبديّ في مولّدات الفرح العربي. لـــذا مات بصعقة كهربائيّة، مُعلَّقًا إلى قنديل الشعر، أثناء محاولته إدخال الكهرباء إلى شارع الحزن العربي!

ذلك أنّ نزار المتظاهر باللهو كان في حقيقته كائنًا حزينًا.

كتبت الوحشيّة العربيّة، بتقاليدها وظلمها وحروبها، أقداره الشخصيّة، لذا لم يُبدع حقًّا إلّا في قصائد الحزن.

سألته مرّة، بعدما لاقت قصائده المغنّاة نجاحًا جماهيريًّا ساحقًا «أيُّ أغنية هي الأحبّ إليك؟».

لم يقل «كلمات ليست كالكلمات» ولا «أيظنّ أنّي لعبة في يديه» ولا «قولي أحبّك» ولا «زيديني عشقًا» ولا «أشهد ألّا امرأة إلّا أنتِ» ولا «أحبّيني بلا عقد» ولا «إنّي خيّرتك فاختاري»، ولا «حافية القدمين»،

بل أذهلني بردّه حين قال: «مدن الأحزان»!

كان في جوابه ذاك ما يشي بحقيقته الأعمق التي يخفيها بقصائد لم تكن كلّها هو.

على الذي يقرأ أشعار نزار في الحبّ والمرأة أن يتذكّر دائمًا تلك الحادثة التي أعادت تشكيل وجدانه إلى الأبد.

في الخامسة عشرة من العمر، كان الشابّ الذي سيغدو أحد أهمّ شعراء عصره شاهدًا على حادثة انتحار أخته الكبرى التي وضعت حدًّا لحياتها لأسباب عاطفيّة. أمام جثمانها المسجّى سكنه شعور بالأسى لن يفارقه أبدًا، ورغبة في إضرام النار في كلّ الأكاذيب المتوارثة، شاهرًا حربًا لا هوادة فيها على النفاق الاجتماعي.

كتب في مذكّراته:

صورة أختي وهي تموت محفورة في لحمي، وما زلت أذكر وجهها الملائكي وابتسامتها الرقيقة وهي تموت.

في هذه الشهادة ترك لنا مفتاح كتاباته، وسرّ انحيازه للمرأة، حدّ التحولّ إلى محاميها حينًا، وجلّادها أحيانًا أخرى.

مساره الذي ابتدأ بفاجعة، انتهى بفاجعة أخرى، حين فقد المرأة التي أحبّها، بعدما ناضل للفوز بها، حتى تحوّل زواجه بها إلى قضيّة عربيّة، استدعت توسّط رؤساء. لكن ما من أحد استطاع أن يتوسّط له لدى الموت، ويمنعه من اختطافها منه، في انفجار السفارة العراقيّة في بيروت. كتب نزار في رحيل بلقيس أجمل مرثيّاته، لكنّ الموت عاد ليخطف منه باكرًا ابنه توفيق، لتحلّ به فاجعة قصمت ظهره. فكيف لا يدخل نزار مدن الأحزان وقد غدت رفيقة دربه و... شريكة حياته.

«أراقب الحزن وهو يتجوّل في زوايا غرفتي، يجلس على مكتبي.. ويضع الأزهار الصفراء في مزهريتي، ويتمدّد على فراشي، ويصنع لي قهوتي الصباحيّة.. فهل أصبح الحزن زوجتي؟»

لم نكن بعد في زمن الكمبيوتر، حين قال لي نزار ذات مرّة «أحبّك لأنّك تشبهينني، لو خيّرتك بين الورقة والحبّ لاخترت الورقة». أجبته ضاحكة «سأخيّب ظنّك، حتمًا كنت سأختار الحبّ». أجاب بكلمات لم أنسها «لن تكوني كاتبة إلّا يوم تنحازين إلى الورقة».

متأخّرةً أدركت كم كان محقًّا.

لعلّ علاقة نزار بالحبّ يختصرها بيتان لم نأخذهما مأخذ الاعتراف:

أنا لا أحبّك من أجل نفسي
ولكن أحبّك كي أجمّل وجه الحياة
ولست أحبّك كي تتكاثر ذرّيتي
ولكن أحبّك كي تتكاثر ذرّيّة الكلمات

كانت الكتابة في حياة نزار أهمّ من الحبّ. في الواقع، هو كان يتحرّش بالحبّ، يستدرجه، يتحدّاه حينًا ويستسلم له أحيانًا، كان يلاعبه، كي لا يشقى به، وفي كلّ حالاته، كان يصادقه ويلازمه لأنّه يحتاج إليه ليكون جميلًا، لعلمه أنّ الحبّ هو سرّ وسامة الشاعر.

قولي أحبّك كي تزيد وسامتي
فبدون حبّك لا أكون وسيما

وعندما لم يكن يعثر على الحبّ، كان يكفي أن يتخيّله، ويخترع له قصصًا ليكتب، أليس القائل:

الحبّ في الأرض بعضٌ من تخيّلنا

لو لم نجده عليها لاخترعناه

في الواقع، كان نزار يحبّ المرأة لا النساء، واقترف على الورق خطايا ما كان ليقترفها في الحياة، كي يرفع عاليًا سقف التحدّي. نزار الأنيق الروح، الأبيّ الجرح، الشاعر المكابر علنًا، المنكسر سرًّا، الموغل في عنفوانه لفرط طعنات الحياة وظلم العروبة، كان عليه أن يواصل، في كلّ حالاته، الدفاع عن أسطورته كرمزٍ للحبّ. وقد نجح في ذلك. ففي تسعينيّات القرن الماضي، طرحت مجلّة لبنانيّة شهيرة على قارئاتها استفتاءً، لاختيار رفيقٍ مشتهى ليوم الحبّ، فتفوّق نزار على كلّ النجوم.

قبل وفاته ببضعة أشهر، زار نزار بيروت، وقصدته مودّعة قبيل مغادرته إلى لندن. وجدته كئيبًا كأنّه يستشعر أمرًا ما. قدّم لي كوب عصير وشوكولاتة وراح يمازحني. لكنّ قلبي كان يلتقط في مزاحه «صهيل أحزانه». قدّمت له لوحة سيراميك من أعمال أختي صوفيا، فقد كان معجبًا بلوحاتها لحبّه لفنّ المنمنمات، وعندما سألته مرّة، أيّ بيت من أشعاره، يختار أن تخطّه له على لوحة. أجابها دون تردّد:

«خمسون عامًا يا كتاب الهوى ولم أزل في الصفحة الأولى.»

وضعت اللوحة في حقيبته بعناية وسط الثياب، كما طلب منّي. كانت حقيبته فائقة الترتيب، (كما أشياء أبي في الماضي)، تشي برجل لا مجال لأيٍّ من أنواع الفوضى في حياته.

عند وداعه، أخذت يده اليمنى، وتركت عليها قبلة تحريضيّة، ووشوشته «ستكتب أشعارًا جميلة بهذه اليد.. عدني بذلك!».

ابتسم نزار وهو يتأمّل يده، وكأنّه عثر على مشروع قصيدة. تنبّهتُ لحظتها إلى كوني تركت آثار أحمر شفاهي على يده. اعتذرت وحاولت مسْحَها، لكنّه سحب يده، وقال بنبرة لم أميّز فيها نسبة المزاح من الجدّ «لا تمسحي قُبلتك، سأُصرّح بها لرجال الجمارك!».

لم أسأله إن كان الأجمل التصريح بقُبلة.. أم تهريبها؟

لم يكن الجواب مُهمًّا، ما دامت القُبل تُزهر شعرًا على أصابع الشعراء.

نازل طواحين الهو(ى) حبًّا في الشعر. مسكون بكآبة شاعريّة لازمته وأخفاها بالاستفزاز. سكن كبرى المدن وسكنته التي حُرم منها. تغزّل في عشرات النساء وأخلص لواحدة. أحبّ المدن التي تمنّعت عنه، لا التي وهبته نفسها. أحبّ القصائد التي لم يكتبها بعد.

قصيرٌ عمر البهجة، البهجة عاقر لا تنجب شعرًا.

أحلام مستغانمي

عِشرونَ عامًا فوقَ دربِ الهوى
ولا يزالُ الدربُ مجهولا

فمرّةً كنتُ أنا قاتلًا
وأكثرَ المرّاتِ مقتولا

عِشرونَ عامًا.. يا كتابَ الهوى
ولم أزَلْ في الصفحة الأُولى.

نزار

(تمهيد «الرسْمُ بالكَلِمات»، 1966)

منشور سرِّي جدًّا

العالمُ عِشْقٌ... فاتَّحدوا يا أهلَ العشْقْ
ما زال أبو لَهَبٍ يتمطّى فوق وسائد هذا الشرقْ
يتسلّى في قَصِّ الحَلَماتِ...
وقطْعِ الثدي، وضَرْبِ العُنُقْ
فتلاقُوا مثلَ مياهِ البحر، وفيضُوا مثلَ نهور الشوقْ
وافترشوا أوراقَ الصفصاف، وناموا في أجفان البرقْ
فأنا ما زلتُ أقولُ لكمْ:
لا شيءَ سيبقى إلّا العشقْ...
لا شيءَ سيبقى إلّا العشقْ...

أشعارٌ خارِجة على القانون، 1972

إيضاحٌ إلى قرّاء شِعْري

... ويقولُ عنّي الأغبياءْ:
إنّي دخلتُ إلى مقاصير النساءِ... وما خَرَجتْ
ويُطالبونَ بنَصب مشنقتي...
لأنّي عن شؤون حبيبتي... شِعرًا كتبتْ
أنا لم أُتاجرْ – مثلَ غيري – بالحشيشِ...
ولا سَرَقتُ...
ولا قَتَلتْ...
لكنَّني... أحبَبتُ في وَضَح النهارِ...
فهل تُراني قد كَفَرتْ؟؟

* * *

ويقولُ عنّي الأغبياءْ:
إنّي بأشعاري، خَرَجتُ على تعاليم السماءْ
مَن قالَ إنّ الحُبَّ عدوانٌ على شَرَف السَماءْ؟
إنَّ السماء صديقتي...
تبكي إذا أبكي...
وتضحكُ إن ضَحِكتْ...
وتَزيدُ أنجُمُها بريقًا...
إنْ أنا يومًا عشقتْ...
ماذا... إذا غنَّيتُ باسم حبيبتي؟
وزَرَعتُها في كُلّ عاصمةٍ

كغابة كَستَناءْ...

* * *

سأظلُّ أحترفُ المحبَّةَ
مثلَ كُلِّ الأنبياءْ
وأظلُّ أحترفُ الطفولةَ، والبراءةَ
والنقاءْ...
وأظلُّ أكتُبُ عن شؤون حبيبتي
حتّى أُذوِّبَ شَعْرَهَا الذهبيَّ في ذَهَب المَسَاءْ
وأنا – وأرجو أن أظلَّ كما أنا –
طفلًا يُخَربِشُ فوق حيطانِ النُّجوم كما يشاءْ
حتّى يصيرَ الحُبُّ في وطني بمرتبةِ الهواءْ
وأصيرَ قاموسًا لطُلّاب الهوى
وأصيرَ فوق شفاههمْ
ألِفًا وباءْ...

لا، 1970

رسَالة حُبٍّ صَغيرة

حبيبتي.. لَدَيَّ شيءٌ كثيرْ..
أقولُهُ، لَدَيَّ شيءٌ كثيرْ..
من أينَ يا غاليتي أبتدي؟
وكلُّ ما فيكِ أميرٌ.. أميرْ
يا أنتِ.. جاعِلَةً أحْرُفي
مِمَّا بها، شرانقًا للحريرْ
هذي أغانيَّ.. وهذا أنا
يَضُمُّنا هذا الكتابُ الصغيرْ
غدًا.. إذا قَلَّبْتِ أوراقَهُ
واشتاقَ مصباحٌ.. وغنّى سريرْ
واخْضَوْضَرَتْ من شَوْقِها، أحْرُفٌ
وأوشكتْ فَواصِلُ أن تطيرْ
فلا تَقولي: يا لهذا الفَتَى!!
أخْبَرَ عنّي المنحنى، والغديرْ
واللوزَ.. والتوليبَ حتَّى أنا..
تسيرُ بيَ الدنيا.ٍ إذا ما أسيرْ
وقالَ ما قالَ فلا نَجْمَةٌ
إلَّا عليها من عبيري عَبِيرْ
غدًا يَراني الناسُ في شِعْرِهِ

فَمًا نبيذيًّا.. وشَعْرًا قَصيرْ

* * *

دَعي حكايا الناس.. لنْ تُصبِحي
كبيرةً.. إلَّا بِحُبِّي الكبيرْ
ماذا تصيرُ الأرضُ لو لم نكُنْ
لو لم تكُنْ عيناكِ.. ماذا تصيرْ؟؟

قصائِد، 1956

حَبيبَتي

حبيبتي. إنْ يسألوكِ عنّي
يومًا، فلا تفكِّري كثيرا
قولي لهمْ بكلِّ كبرياءٍ:
«يُحبُّني.. يُحبُّني كثيرا..»

* * *

صغيرتي. إنْ عاتبوكِ يومًا
كيفَ قصصتِ شَعْرَكِ الحريرا
وكيفَ حطَّمتِ إناءَ طيبٍ
من بعدما ربَّيْتِهِ شُهُورًا
وكانَ مثلَ الصيفِ في بلادي
يوزِّعُ الظلالَ والعبيرا
قولي لهُمْ: «أنا قصصتُ شعري
لأنَّ من أحبُّهُ.. يحبُّهُ قصيرا..»
أميرتي إذا معًا رقصنا
على الشموع لحنَنَا الأثيرا
وحوَّلَ البِيانُ في ثوانٍ
وجودَنا أشعَّةً ونورا
وظنَّكِ الجميعُ في ذراعي
فراشةٌ تهمُّ أنْ تطيرا
فواصلي رقصكِ في هدوءٍ

واتَّخذي من أضلعي سريرا
وتمتمي بكُلِّ كبرياءٍ
«يُحبُّني.. يُحبُّني كثيرا..»

* * *

حبيبتي. إن أخبروكِ أنّي
لا أملكُ العبيدَ والقُصورا
وليسَ في يديَّ عِقْدُ ماسٍ
به أحيطُ جيدَكِ الصغيرا
قولي لهُمْ بكلِّ عنفوانٍ
يا حبِّيَ الأوَّلَ والأخيرا
قولي لهُمْ: كفاني
بأنَّهُ يُحبُّني كثيرا..

* * *

حبيبتي.. يا ألفَ يا حبيبتي
حُبِّي لعينيكِ أنا كبيرٌ
وسوفَ يبقى دائمًا كبيرا..

حَبيبَتي، 1961

تعوّدَ شَعْري عَليكْ

تعوَّدَ شَعْري الطويلُ عليكْ
تعوَّدتُ أُرخيهِ كلَّ مساءٍ
سنابلَ قمحٍ على راحتيكْ
تعوَّدتُ أَتركُه يا حبيبي..
كنجمةِ صيفٍ على كتفيكْ..
فكيف تَمَلُّ صداقةَ شَعْري؟
وشَعْري ترَعْرعَ بين يديكْ..

* * *

ثلاثُ سنينْ..
ثلاثُ سنينْ..
تُخدِّرني بالشؤون الصغيرَهْ
وتصنعُ ثوبي كأيِّ أميرَهْ
من الأرجوانِ
من الياسمينْ
وتكتبُ إسمَكَ فوق الضفائرْ
وفوق المصابيح.. فوق الستائرْ
ثلاثُ سنينْ..
وأنتَ تُردِّدُ في مَسمَعيّا..
كلامًا حنونًا.. كلامًا شهيّا..
وتزرعُ حبَّك في رئتيّا..

وها أنتَ.. بعدَ ثلاثِ سنينْ..
تبيعُ الهوى.. وتبيعُ الحنينْ
وتتركُ شَعْري..
شقيًّا.. شقيّا..
كطيرٍ جريحٍ.. على كتفيّا

* * *

حبيبي!
أخافُ اعتيادَ المرايا عليكْ..
وعطري، وزينةِ وجهي عليكْ..
أخافُ اهتمامي بشكل يديْكِ..
أخافُ اعتيادَ شفاهي..
مع السنواتِ، على شفتيكْ
أخافُ أموتُ،
أخافُ أذوبُ
كقطعة شمعٍ على ساعدَيْكْ..
فكيف ستنسى الحريرَ؟
وتنسى..
صلاةَ الحرير على رُكْبتيكْ؟

* * *

لأنّي أحبُّكَ، أصبحتُ أجمَلْ
وبعثرتُ شعري على كتفيَّ..
طويلًا.. طويلًا..
كما تتخيَّلْ..
فكيفَ تملُّ سنابلَ شَعري؟
وتتركُهُ للخريف وترحَلْ
وكنتَ تُريحُ الجبينَ عليهِ
وتغزلُهُ باليدينِ فيُغْزَلْ..
وكيف سأُخبِرُ مِشْطي الحزينْ؟
إذا جاءني عن حنانكَ يَسألْ..

أجِبْني، ولو مرّةً يا حبيبي
إذا رُحْتَ..
ماذا بِشَعْري سأفعَلْ؟

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

كيف؟

1

كيفَ أَتعامَلُ مَعَكِ..
كيفْ؟
أيُّ المفاتيح تفتحُ أبوابَ مملكتِكْ؟
أيُّ القصائد تدخلني إلى قاعة العَرْشْ؟
أي نوعٍ من النبيذْ..
أقدّمُهُ لرشْوَةِ حُرّاسِكْ؟
طبّقتُ عليكِ عُلُومَ الأوّلينَ والآخرينْ
وحكمةَ الفلاسفة.. وجُنُونَ المجانينْ..
لم أترُكُ كتابًا من كُتُب العشْقِ.. إلّا قرأتُهْ..
ولا عُشبةً من أعشاب الصين.. إلّا تعاطيتُها..
ولا رياضةً هنديّةً للتغلّب على النفس..
إلّا مارستُها..
فلا الأعشابُ الصينيَّةُ نفَعتْني..
ولا الطقُوسُ البوذيّةُ نفَعْتني..
ولا مؤلّفاتُ العشق.. نفَعتْني..
أيّتها المرأةُ التي لم تكْتُبْها الكُتُبْ..

2

إستعملتُ معكِ كلَّ الطُرُق..

التي يستعملها الرجالُ عادةً لاستمالة النساءْ
حاولتُ اللجوءَ إلى ضاربات الودَع.. ففشلتْ..
وإلى مستحضري الأرواح.. ففشلتْ..
حاولتُ أن أعاقبَكِ بالذهاب مع امرأةٍ أخرى..
فعاقبتُ نفسي..
دُلّيني على طريقةٍ أنتصرُ فيها عليكِ..
فكلّما ضربتُ نهديْكِ بالسياطْ..
تفجَّر الدمُ من جَسَدي..

3

أيّتها المرأة الموجودةُ في كلِّ شيءْ..
والقادرةُ على كُلِّ شيءْ..
معكِ.. لا ينفع عنْفٌ ولا خشونَهْ
لا ينفع هجرٌ ولا خيانَهْ..
كلُّ الخيانات هي في مصلحتِكْ..
كلّما دخلتُ إلى بيت امرأهْ..
خرجتِ إليَّ من وراء الستائرْ..
كلَّما مارستُ الحبَّ مع امرأةٍ أخرى..
حَبِلتِ أنتِ!!...

هكذا أكتبُ تاريخَ النساء، 1981

مُكابَرَة

تُراني أُحبُّكِ؟ لا أعلمُ
سؤالٌ يحيط به المُبْهَمُ

وإن كان حُبّي افتراضًا. لماذا؟
إذا لُحْتِ طاشَ برأسي الدمُ

وحار الجوابُ بحنجرتي
وجفَّ النداءُ.. ومات الفمُ

وفرّ وراءَ ردائكِ قلبي
ليلثمَ منكِ الذي يُلثمُ

تُراني أُحبُّكِ؟ لا. لا. محالٌ
أنا لا أُحبُّ ولا أُغرمُ

وفي الليل. تبكي الوسادةُ تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجُمُ

وأسألُ قلبي. أتعرفُها؟
فيضحكُ مني ولا أفهمُ

تُراني أحبُّكِ؟ لا. لا. محالٌ

أنا لا أُحبُّ ولا أُغرمُ

وإن كنتُ لستُ أُحبُّ، تراهُ
لمن كلُّ هذا الذي أنظمُ؟

وتلكَ القصائدُ أشدو بها
أما خلفها امرأةٌ تُلهِمُ؟

تُراني أُحبُّكِ؟ لا. لا. محالٌ
أنا لا أُحبُّ ولا أُغرمُ

إلى أن يضيقَ فؤادي بسرّي
ألحُّ. وأرجو. وأستفهِمُ

فيهمسُ لي: أنتَ تعبدُها
لماذا تكابرُ.. أو تكتمُ؟

قالت لي السَّمراء، 1944

إلى مُصْطَافة

أأنتِ على المنحنى تقعدينْ؟
لها رئتي هذه القاعدَهْ..

مشاوير تمّوزَ.. عادتْ وعُدْنا
لننهبَ داليةً راقِدهْ..

لنسرقَ تينًا من الحقل فجًّا
لننقفَ عصفورةً شارِدَهْ

لأفرطَ حَبّاتِ تُوتْ السياج
وأطعمَ حَلْمتك الناهدَهْ

لأغزلَ غيمَ بلادي شريطًا
يلفّ جدائلكِ الراعِدهْ

لأغسلَ رجليكِ يا طفلتي
بماء ينابيعها الباردَهْ

سماويّةَ العين.. مُصطافتي
على كتفِ القرية الساجدَهْ

أُحبُّكِ في لهو بيض الخرافِ

وفي مرح العنزة الصاعدَهْ

وفي زُمَر السَرْوِ والسنديانِ
وفي كلِّ صفصافةٍ ماردَهْ

وفي مقطعٍ من أغاني جبالي
تغنّيه فلّاحةٌ عائدَهْ

صديقة. إن العصافيرَ عادتْ
لتنقرَ من جعبة الحاصدَهْ

أُحبُّكِ أنقى من الثلج قلبًا
وأطهرَ من سُبْحة العابدَهْ

حملتِ اندفاعةَ هذا الصبيِّ
كما احتملتْ طفلَها الوالدَهْ

أُحبُّكِ.. زوبعةً من شبابٍ
بعشرينَ لا تعرفُ العاقبَهْ

جموعُ السُنونُو على الأفقِ لاحتْ
فلوحي.. ولو مرةً واحدَهْ..

قالت لي السَّمراء، 1944

فَم

في وجهها يدورُ.. كالبُرْعُمِ
بمثله الأحلامُ لم تحلُمِ

كلوحةٍ ناجحةٍ.. لونُها
أثارَ حتّى حائطَ المَرْسَمِ

كفكرةٍ.. جناحُها أحمَرٌ
كجملةٍ قيلتْ ولم تُفْهَمِ

كنجمةٍ قد ضيَّعتْ دربَها
في خُصُلاتِ الأسودِ المُعْتمِ

زجاجةٌ للطيب مختومةٌ
ليتَ أواني الطيبِ لم تُخْتَمِ

مِنْ أينَ يا ربّي عصرتَ الجنى؟
وكيفَ فكّرتَ بهذا الفمِ

وكيفَ بالغتَ بتدويرهِ؟
وكيفَ وزّعتَ نقاطَ الدمِ؟

وكيفَ بالتوليبِ سوّرتَهُ

بالوردِ، بالعنّابِ، بالعَنْدَمِ؟

وكيفَ ركّزت إلى جنبهِ
غمّازةً.. تهزأ بالأنجمِ..

كم سنةٍ.. ضيّعتَ في نحتِهِ؟
قُلْ لي. ألم تتعبْ.. ألم تسأمِ؟

مُنضمَّةَ الشفاه.. لا تُفصحي
أريدُ أن أبقى بوهم الفمِ..

قالت لي السَّمراء، 1944

أُحِبُّكِ

أُحبُّكِ.. لا أدري حدودَ محبّتي
طباعي أعاصيرُ.. وعاطفتي سَيْلُ

وأعرفُ أنّي مُتْعِبٌ يا صديقتي
وأعرفُ أنّي أهوجٌ.. أنّني طفلُ

أُحبُّ بأعصابي، أُحبُّ بريشتي
أُحبُّ بكلّي.. لا اعتدالٌ، ولا عقلُ.

أنا الحبُّ عندي جِدّةٌ وتطرّفٌ
وتكسيرُ أبعادٍ.. ونارٌ لها أكْلُ

وتحطيمُ أسوارِ الثواني بلمحةٍ
وفَتْحُ سماءٍ كلُّها أعينٌ شُهْلُ

وتخطيطُ أكوانٍ، وتعميرُ أنجمٍ
ورسمُ زمانٍ.. مالهُ.. مالهُ شكلُ

أنا ما أنا.. فلتقبليني مغامرًا
تجارتهُ الأشباحُ، والوهمُ، والليلُ

أُحبُّكِ تعتزّينَ في خمسَ عشرةٍ

ونهدُكِ في خيرٍ.. وخصرُكِ مُعْتَلُّ

وصدرُكِ مملوءٌ بألف هديّةٍ
وثغركِ دفَّاقُ الينابيعِ مبتلُّ

تعيشينَ بي كالعطر يحيا بوردةٍ
وكالخمر في جوف الخوابي لها فعلُ..

وقَبْلَكِ لم أوجدْ فلمّا مررت بي
تساءلتُ في نفسي: تُرى كنتُ من قَبْلُ

بعينيكِ.. قد خبّأتُ أحلى قصائدي
إذا كان لي فَضْلُ الغنَى.. فلكِ الفَضْلُ.

قالت لي السَّمراء، 1944

إختَارِي

إنّي خيَّرتُكِ... فاختاري
ما بينَ الموت على صدري
أو فوقَ دفاترِ أشعاري
إختاري الحبَّ... أو اللاحبَّ
فجبنٌ أنْ لا تختاري...
لا توجدُ مِنْطقةٌ وسطى...
ما بينَ الجنَّةِ والنارِ...

* * *

إرمي أوراقكِ كاملةً...
وسأرضى عن أيِّ قرارِ
قُولي... إنْفَعِلي... إنْفَجِري
لا تقفي مثلَ المِسْمارِ
لا يمكنُ أن أبقى أبدًا
كالقشَّة تحت الأمطارِ...
إختاري قَدَرًا بين اثنينِ
وما أعنَفَها أقداري...

* * *

مُرهَقةٌ أنتِ... وخائفةٌ
وطويلٌ جدًا... مشواري
غوصي في البحر... أو ابتعدي

لا بحرٌ... من غير دُوَارِ...
الحبُّ... مواجهةٌ كبرى
إبحارٌ ضدَّ التَّيارِ...
صَلْبٌ، وعَذَابٌ، ودُمُوعٌ
ورحيلٌ بينَ الأقمارِ...

* * *

يقتُلُني جُبْنُكِ... يا امرأةً
تتسلَّى من خلف ستارِ
إنّي لا أُؤمنُ في حُبٍّ
لا يحملُ نزَقَ الثُّوَّارِ...
لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ
لا يضربُ مثلَ الإعصارِ
آهٍ... لو حُبُّكِ يبلَعُني
يقلَعُني مثلَ الإعصارِ...

* * *

إنّي خَيَّرتُكِ... فاخْتَاري
ما بين الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاتر أشْعَاري
لا توجدُ مِنْطَقةٌ وسطى
ما بين الجنَّةِ والنارِ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

أعنفُ حُبٍّ عشتُهُ

تلومُني الدنيا إذا أحْبَبْتُهُ
كأنَّني... أنا خَلَقْتُ الحُبَّ واخْتَرَعْتُهُ
كأنَّني أنا على خُدُود الوردِ قد رَسَمْتُهُ
كأنَّني أنا التي...
للطيرِ في السماء قَدْ علَّمْتُهُ
وفي حُقُولِ القَمْحِ قَدْ زرعتُهُ
وفي مِيَاهِ البَحْرِ قَدْ ذوَّبْتُهُ...
كأنَّني... أنا التي
كالقَمَرِ الجميلِ في السماءِ...
قد عَلَّقتُهُ...
تَلُومُني الدنيا إذا...
سَمَّيتُ مَنْ أُحبُّ... أو ذَكَرْتُهُ...
كأنَّني أنا الهوى...
وأُمُّهُ... وأُخْتُهُ...

* * *

هذا الهوى الذي أتى...
مِن حيثُ ما انتطرتُهُ
مُختلِفٌ عن كلِّ ما عرفتُهُ
مختلفٌ عن كلِّ ما قرأتُهُ
وكلِّ ما سَمِعتُهُ...

لو كنتُ أدري أنَّهُ...
نوعٌ من الإدمانِ... ما أدمنتُهُ
لو كنتُ أدري أنَّهُ...
بابٌ كثيرُ الريح... ما فتحتُهُ
لو كنتُ أدري أَنَّهُ...
عُودٌ من الكبريتِ... ما أشْعَلْتُهُ
هذا الهوى، أعنفُ حبٍّ عِشتُهُ
فلَيتني حينَ أتاني فاتحًا...
يدَيْهِ لي... رددتُهُ
وليتني من قبلِ أن يقتُلَني... قَتَلتُهُ...

* * *

هذا الهوى الذي أراهُ في الليلِ...
عَلى ستائِري...
أراهُ... في ثَوْبي...
وفي عِطري... وفي أساوِري
أراهُ... مَرسومًا على وَجْهِ يدي...
أراهُ... مَنْقوشًا على مَشاعِري
لو أخبروني أنَّهُ...
طِفلٌ كثيرُ اللهوِ والضوضاءِ ما أدخلتُهُ
وأنَّهُ سيكسرُ الزجاجَ في قلبي لما تركتُهُ
لو أخبروني أنَّهُ...
سَيُضرم النيرانَ في دقائقَ
ويقلبُ الأشياءَ في دقائقَ
ويصبغُ الجدرانَ بالأحمر والأزرقِ في دقائقَ
لكنتُ قد طردتُهُ...

* * *

يا أيُّها الغالي الذي...
أرضَيْتُ عنّي اللهَ... إذ أحببتُهُ
هذا الهوى أجملُ حُبٍّ عشتُهُ

أروعُ حُبٍّ عشتُهُ
فَلَيتني حينَ أتاني زائرًا
بالوردِ قد طوَّقتُهُ...
وليتني حينَ أتاني باكيًا
فتحتُ أبوابي لهُ... وبسْتُهُ
وبسْتُهُ... وبسْتُهُ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

مِنّي

إنْ رفَّ يومًا... كتابي
حديقةً في يدَيْكِ
وقالَ صحبُكِ: شِعْرٌ
يقالُ في عينيكِ...
لا تُخبري الوردَ عنّي
إني أخافُ عليكِ
ولا تَبوحي بسرّي
ومَنْ أكونُ لديكِ
ولْتقرأيهِ بعمقٍ
ولْتُسْبِلي جفنيكِ
ولْتجعليهِ بركنٍ
مُجاورٍ نهديْكِ
هذي وُرَيْقاتُ حُبٍّ
نَمَتْ على شفتيكِ
عاشَتْ بصدري سنينًا
لكي تعودَ إليكِ

طفولة نهد، 1948

لولاكِ

أُفكِّرُ.. لولاكِ،
لو لم يَبُحْ عن عبيركِ غَيْبُ
لو أنَّ اشقرارَ صباحيَ.. لم ينزرعْ فيه هُدْبُ..
ولولا نعومةُ رجْلَيْكِ..
هل طرَّزَ الأرضَ عُشْبُ؟
تدوسينَ أنتِ..
فللصبح نَفْسٌ..
وللصخرِ قلبُ
تُرى يا جميلةُ، لولاكِ،
هل ضجَّ بالوردِ درْبُ؟
ولولا اخضرارٌ بعينيكِ، ثَرُّ المواعيد، رَحْبُ
أيَسْبَحُ بالضوءِ شَرْقٌ؟
أيبتلُّ باللونِ غَرْبُ؟
أكانتْ تذرُّ البريقَ الرماديَّ – لولاكِ – شُهْبُ؟
أكانتْ ألوفُ الفراشاتِ في الحقل، طيبًا تَعُبُّ؟

* * *

لو أنّيَ لستُ أُحبُّكِ أنتِ..
فماذا أحبُّ؟

طفولة نهد، 1948

نَار

أُحبُّها. أقوى من النارِ
أشدُّ من عويل إعصارِ

أقسى من الشتاء حُبِّي لها
فيا لها من دَفْق أمطاري..

لو مرَّ تفكيري على صدرها
أحرَقْتُها حرقًا بأفكاري..

أو أُفلتتْ حَلْمَتُها.. صدفةً
حدّجتُها بعين جزّارِ..

لا يعرفُ الحدودَ حبِّي لها
كأنَّها تجري بأغواري

* * *

أُريدُها وحدي.. فلا يدَّعي
غيري هَواها.. تلكَ أطواري

أُريدُ أن أطوي عليها يدي
من ريبتي.. من فرط إيثاري

أُحبُّها وحدي.. وما ضرَّني

أن تنقلَ النجومُ أخباري

فيشربُ الصباحُ أنوارَها
ويشربُ الغروبُ أنواري..

* * *

ما دمتِ لي.. سرُّ المساءِ معي
وهذه الأقمارُ أقماري..

وأنجُمُ المساء لي مئزرٌ
وفوق جفنِ الشرقِ مشواري

طفولة نهد، 1948

أَنْتِ لي

يَرْوُونَ في ضَيْعَتِنا.. أنتِ التي أُرَجِّحُ
شائعةٌ. أنا لها مُصَفِّقٌ.. مُسَبِّحُ
وأَدَّعيها بفمٍ مَزَّقَهُ التَبَجُّحُ
يا سَعْدَها روايةً ألهو بها، وأمْرَحُ
يَحْكُونَها.. فللسفُوحِ السُكْرُ والتَرَنُّحُ..
لو صَدَقَتْ قَوْلَتُهُمْ.. فلي النُجُومُ مَسْرحُ
أو كَذَبَتْ.. ففي ظُنُوني عَبَقٌ لا يُمْسَحُ

* * *

لو أنتِ لي.. أرْوِقَةُ الفجر مدايَ الأفْسَحُ
مِنَّا.. ومِنْ عُيُونِنا.. هذا الصَباحُ يُصْبِحُ
لي أنتِ.. مهما صنَّفَ الواشونَ، مهما جَرَّحُوا
وحدي.. أَجَلْ وحدي.. ولنْ يَرْقى إليكِ مَطْمَحُ

* * *

لي مَيْسَةُ الزُنَّارِ.. والخاصِرَةُ المُوَشَّحُ
والخالُ لي.. والشالُ لي.. والأسْوَدُ المُسَرَّحُ
وكلُّ ما فَتَّحَ في الصدر.. وما يُفَتِّحُ
أنتِ.. ويكفيني أنا الغرورُ والتَبَجُّحُ

أنتِ لي، 1950

مُعْجَبَة

تَقُولُ: أغانيكَ عندي
تَعيشُ بصَدْري كعِقْدي

وشِعْرُكَ.. هذا الطليقُ الأنيقُ
لصيقٌ بِكِبْدي

فمنهُ أُكَحِّلُ عَيْني
ومنهُ أُعَطِّرُ نَهْدي

فَبَيْتٌ بلون عُيُوني
وبَيْتٌ بحُمْرةِ خَدِّي

يُدَثِّرُني حينَ يأتي الشتاءُ
فيذهَبُ بَرْدي

وأحْفَظُ منهُ الكثيرَ الكثيرَ
وأجْهَلُ قَصْدي

كأنَّكَ رَشَّةُ طيبٍ هريقٍ
تَفَشَّتْ بِبُرْدي

وحَسْبُكَ أنَّكَ في كُلِّ بيتٍ

كَسَلَّةِ وَرْدِ

* * *

كَفَاني مِنَ المَجْدِ تسبيحُ
ثَغْرٍ جميلٍ بِحَمْدي!!

أنتِ لي، 1950

كَيْفَ كَانْ؟

تَسَاءَلتْ.. في حَنَانْ
عن حُبِّنا كيفَ كانْ؟

وكيفَ نحنُ اسْتَحَلْنا
حرائقَ في ثَوَانْ؟

صِرْنا ضياءً.. وصِرْنا
في دَوْزَناتِ الكَمَانْ

فالناسُ لو أبْصَرُونا
قَالوا: دُخانُ الدُخَانْ..

في أيِّ أرضٍ جُمِعْنا
وأيْنَ هذا المكانْ؟

هل كانَ جِذْعًا عتيقًا
في غابةِ السِنْدِيانْ؟

أم كانَ منزلَ راعٍ
مُسَرْبَلًا بالأَغْانْ؟

على الليالي دَخَلْنا

فأصْبَحَتْ مَهْرَجانْ

فحيثُ رَفَّتْ خُطَانا
تَفَتَّقَتْ نَجْمَتانْ

وحيثُ سالَ شَذانا
تَفَتَّحَتْ وَرْدَتانْ

ويعرفُ الليلُ أَنَّا
كُنَّا لَهُ شَمْعَدانْ

نُهْدِيهِ حتَّى كأنَّا
لِلَّيْلِ.. غَمَّازَتانْ..

أنتِ لي، 1950

أُحِبُّكِ

أُحِبُّكِ... حتَّى يَتِمَّ انْطِفائي
بعَيْنَيْنِ، مثلَ اتِّساعِ السَماءِ

إلى أَنْ أغيبَ وريدًا... وريدًا
بأعماقِ مُنْجَدِلٍ كَسْتَنائي

إلى أَنْ أحِسَّ بأنَّكِ بَعْضي
وبعضُ ظُنوني... وبعضُ دمائي

أُحِبُّكِ... غَيْبوبةً لا تفيقُ
أنا عَطَشٌ يستحيلُ ارتوائي

أنا جَعْدَةٌ في مَطاوي قميصٍ
عَرَفْتُ بنَفْضَاتِهِ كِبْريائي

أنا – عَفْوَ عَيْنَيكِ – أنتِ. كلانا
ربيعُ الربيعِ... عَطاءُ العَطاءِ

أُحبُّكِ... لا تَسْأَلي أيَّ دعوى
جَرَحْتُ الشُمُوسَ أنا بادِّعائي

إذا ما أُحبُّكِ... نَفْسي أُحبُّ

فنحنُ الغِناءُ... ورَجْعُ الغِناءِ..

أنتِ لي، 1950

حَبِيبِيْ

لا تسأَلُوني.. ما اسْمُهُ حبيبي
أخْشَى عليكُمْ ضَوْعَةَ الطُّيُوبِ

زِقُّ العَبيرِ، إنْ حطَّمْتُمُوهْ
غَرِقتُمُ بِعَاطِرٍ سَكِيبِ

واللهِ.. لو بُحْتُ بأيِّ حَرْفٍ
تكدَّسَ اللَّيْلَكُ في الدُرُوبِ

لا تبحثُوا عنهُ هُنَا بصدري
تَرَكتُهُ يجري مع الغُروبِ

تَرَوْنَهُ في ضِحْكة السواقي
في رَفَّةِ الفَراشةِ اللَّعُوبِ

في البحرِ، في تَنَفُّسِ المراعي
وفي غناءِ كُلِّ عندليبِ

في أدْمُعِ الشتاءِ حين يبكي
وفي عطاء الديمةِ السَكُوبِ

لا تسألوا عن ثغرِهِ.. فهلَّا

رأيتُمُ أناقَةَ المغيبِ

ومُقْلَتَاهُ شاطئا نَقاءٍ
وخَصْرُهُ تَهَزْهُزُ القضيبِ

محاسنٌ.. لا ضَمَّها كتابٌ
ولا ادَّعَتْها ريشةُ الأديبِ

وصدرُهُ.. ونَحْرُهُ.. كفاكُمْ..
فَلَنْ أبُوحَ باسْمِهِ حبيبي...

أنتِ لي، 1950

نَار

يا حبيبي.. على فمي احترقَ الشَوْقُ
فرِفْقًا.. بالأحْمَرِ المَجْمُوعِ

ضُمَّني.. ضُمَّني.. وحَطِّمْ عظامي
والْتَهِمْ مَبْسمي.. وكَسِّرْ ضُلوعي

واحْتَضِنِّي مثلَ الشتاءِ.. فإنّي
في الهوى، لا أُطيقُ ضَعْفَ الربيعِ

يا حبيبي.. والوَجْدُ يبكي بعَيْني
رُبَّ عَيْنٍ تبكي بغير دُمُوعِ

يا حبيبي.. خُذْني لدفءِ ذراعيْكَ
فَعُمْرُ الهوى كَعُمْرِ الشُمُوعِ

لكَ شَعْري النثيرَ.. نَمْ فوقَ شَعْري
وتَوَسَّدْ رُخامَ صدرٍ رضيعِ

أنا أهواكَ، فوقَ ما يشرُدُ الظَنُّ
وفوقَ الهوى.. وفوقَ الولُوعِ..

أنتِ لي، 1950

إلى عَيْنَين شماليّتَين

إسْتَوقَفَتْني، والطريقُ لنا
ذاتُ العُيونِ الخُضْرِ.. تَشْكُرُني

كَرَّمْتَني – قالتْ – بأُغْنِيَةٍ
والشعرُ يكرُمُ إذْ يُكَرِّمني

لا تَشْكُريني.. واشْكُري أُفُقًا
نَجْماتُهُ نَزَلَتْ تُطوِّقُني..

وجُنَيْنَةً خضراءَ.. إن ضَحِكَتْ
فعلى حُدُود النَجْم تَزْرَعُني

شَاءَ الصَنَوْبَرُ أَنْ أُصوِّرَهُ
أأرُدُّ مطلبَهُ.. أَيُمكنُني؟

* * *

ونَظَرْتُ في عَيْنَيْ مُحدِّثتي
والمَدُّ يطويني.. ويَنْشُرني

فإذا الكُرومُ هناكَ.. عارشَةٌ
وإذا القُلوعُ الخُضْرُ تحمِلُني..

هذي بِحَارٌ كنتُ أجهلُها
لا بَرَّ – بعدَ اليوم – يا سُفُني..

معَنَا الرياحُ.. فَقُلْ لأَشْرِعَتي
عُبِّي المَدى الزيتيَّ، واحْتَضِني

خَجَلٌ.. إذا لم تَرْسُ صاريتي
في مَرْفأَيْنِ بآخِرِ الزَمَنِ

ماذا؟ أَيُتْعِبُكَ المَدى؟.. أَبَدًا
لا شيءَ في عَيْنَيْكِ يُتْعِبُني

أَرجو الضَياعَ، وأَستريحُ لهُ
يا ويلَ دَرْبٍ لا يُضَيِّعُني..

* * *

وتَطَلَّعَتْ.. فطريقُ ضَيْعَتِنا
ما زلتُ أعرفُها وتعرِفُني

بَيْتي.. وبَيْتُ أَبي.. وبَيْدَرُنا
وشُجَيْرةُ النارَنْجِ تحضُنُني

* * *

تَاهَتْ بِعَيْنَيْها وما عَلِمَتْ
أنِّي عَبَدْتُ بعينِها.. وَطَني

قصائِد، 1956

رحلة في العيون الزرق

أَسُوحُ بتلكَ العُيونْ
على سُفُنٍ من ظُنُونْ

أنا فاتحُ الصَحْوِ... فاتحُ
هذا النقاءِ الحَنونْ

أَشُقُّ صباحًا.. أَشُقُّ
ضميرًا مِنَ الياسَمينْ

وتَعْلَمُ عيناكِ أَنِّي
أُجَدِّفُ عَبْرَ القُرونْ

أُكَوِّنُ جُزْرًا.. وأُغْرِقُ
جُزْرًا.. فَهَلْ تُدركينْ؟

أنا أوَّلُ المُبْحِرينَ على
أَزَلٍ مِنْ لُحُونْ

حِبَالي هناكَ.. فكيفَ
تقولينَ هذي جُفُونْ؟

أنا يومَ غَنَّتْ صَواريَّ

تجرحُ صَدْرَ السُكُونْ

تساءلتِ، والفُلْكُ سَكْرَى
وبَحَّارتي يُنْشِدُونْ

أَفي أبَدٍ مِنْ نُجُومٍ
سَتُبْحِرُ؟ هذا جُنُونْ..

قَذَفْتُ قُلُوعي إلى البحر
لو فَكَّرَتْ أنْ تَهونْ

ويُسْعِدُني أَنْ أُلُوبَ
على مرفأٍ لَنْ يَكُونْ..

عزائي إذا لَمْ أعُدْ
أَنْ يُقالَ: انْتَهى في عُيُونْ..

قصائِد، 1956

إلى صَدِيقةٍ جَديدَة

ودَّعتُكِ الأمس، وعُدْتُ وحدي
مُفَكِّرًا ببَوْحكِ الأخيرِ...

كَتَبْتُ عن عَيْنَيْكِ ألفَ شيءٍ
كَتَبْتُ بالضوءِ وبالعبيرِ..

كَتَبْتُ أشياءَ بدون معنى
جميعُها مَكْتوبَةٌ بِنُورِ

مَنْ أنتِ.. مَنْ رَماكِ في طريقي؟
مَنْ حَرَّكَ المياهَ في جُذوري؟

وكانَ قلبي قبل أَنْ تَلوحي
مقبرةً مَيِّتةَ الزُهورِ

مُشْكلتي أنِّيَ لستُ أدري
حدًّا لأفكاري ولا شُعوري

أضَعْتُ تاريخي، وأنتِ مثلي
بغير تاريخٍ ولا مصيرِ..

مَحبَّتي نارٌ.. فلا تُجَنِّي

لا تَفْتَحي نوافذَ السَعيرِ

أريدُ أن أَقيكِ من ضَلالي
من عالمي المسمَّمِ العُطورِ

هذا أنا.. بِكُلِّ سيِّئاتي
بكُلِّ ما في الأرضِ من غُرورِ

كَشَفْتُ أوراقي.. فلا تُراعي
لَنْ تَجِدي أطهرَ من شُروري

للحُسْن ثَوْراتٌ.. فلا تَهابي
وجَرِّبي أختاهُ أَنْ تَثوري

وَلْتَثِقي مهما يكُنْ بحُبِّي
فإنَّه أكبرُ من كبيرِ..

قصائِد، 1956

شؤونٌ صغيرَهْ

1

شُؤُونٌ صغيرَهْ
تَمُرُّ بها أنتَ دونَ التفاتِ
تُساوي لَدَيَّ حياتي
جميعَ حياتي..
حَوادثُ.. قد لا تُثيرُ اهتمامَكْ
أُعَمِّرُ منها قُصورْ
وأحيا عليها شُهورْ
وأَغْزِلُ منها حكايا كثيرَهْ
وألفَ سماءٍ.. وألفَ جزيرَهْ..
شؤونٌ.. شؤونُكَ تلكَ الصغيرَهْ..

2

فحينَ تُدخِّنُ أجثو أمامَكْ
كقِطَّتِكَ الطيِّبَهْ
وكُلِّي أَمانْ
أُلاحقُ مَزْهُوَّةً مُعْجَبَهْ
خيوطَ الدُخانْ
تُوَزِّعُها في زوايا المكانْ
دَوائرْ.. دَوائرْ

وَتَرحلُ في آخر الليلِ عنِّي
كنجمٍ، كطيبٍ مُهاجِرْ
وتترُكني يا صديقَ حياتي
لرائحة التَبْغ.. والذكرياتِ
وأبقى أنا.. في صقيع انفرادي..
وزادي أنا.. كُلُّ زادي
حُطامُ السجائرْ..
وصَحْنٌ.. يَضُمُّ رمادًا..
يَضُمُّ رمادي..

3

وحينَ أَكُونُ مريضَهْ..
وتحملُ أزْهارَكَ الغاليَهْ
صديقي.. إِليَّ
وتجعلُ بين يديكَ يديَّ
يعودُ ليَ اللونُ والعافيَهْ
وتلتصقُ الشمسُ في وجْنَتَيَّ
وأبكي.. وأبكي.. بغير إرادَهْ
وأنتَ تردُّ غطائي عليَّ
وتجعلُ رأسيَ فوق الوسادَهْ
تَمَنَّيْتُ كُلَّ التمنِّي.. صديقي.. لو أنّي..
أَظَلُّ.. أَظَلُّ عليلَهْ..
لِتَسْأَلَ عنّي..
لِتَحْمِلَ لي كلَّ يومٍ ورودًا جميلَهْ.

4

وإنْ رنَّ في بيتنا الهاتِفُ
إليهِ أَطيرْ..
أنا.. يا صديقي الأثيرْ

بفَرْحَةِ طفلٍ صغيرْ
بشوق سُنُونُوَّةٍ شاردَهْ
وأَحْتضِنُ الآلةَ الجامدَهْ
وأعصُرُ أسلاكَها الباردَهْ
وأَنتظرُ الصوتَ.. صوتَكَ يَهْمي عليَّ
دفيئًا.. مليئًا.. قويْ..
كصوتِ نَبِيٍّ..
كصوتِ ارتطام النُجومِ، كصوتِ سُقُوط الحُلِيِّ
وأبكي.. وأبكي.. لأنَّكَ فَكَّرتَ فيَّ..
لأنَّكَ من شُرُفات الغُيوبِ.. هَتَفْتْ إليَّ..

5

ويومَ أجيءُ إليكَ لكي أستعيرَ كتابْ..
لأزعُمَ أنِّي أتَيْتُ لكي أستعيرَ كتابْ..
تَمُدُّ أصابعَكَ المُتْعَبَهْ
إلى المكتَبَهْ..
وأَبقى أنا في ضباب الضبابْ
كأنِّي سُؤَالٌ بغير جَوابْ
أُحَدِّقُ فيكَ.. وفي المكتَبَهْ..
كما تفعلُ القِطَّةُ الطيِّبَهْ..
تُراكَ اكْتَشَفْتَ؟
تُراكَ عَرَفْتَ؟
بأنِّيَ جئتُ لغير الكتابْ
وأنِّيَ لستُ سوى كاذبَهْ!!

6

.. وأمضي سريعًا إلى مخدعي
أضمُّ الكتابَ إلى أضْلُعي
كأنِّي حملتُ الوُجودَ معي..

وأُشْعِلُ ضوئي.. وأُسْدِلُ حولي السُتُورْ
وأَنْبُشُ بينَ السُطُورِ، وخلفَ السُطُورْ
وأَعدو وراءَ الفواصلِ.. أعدو وراءَ نقاطٍ تَدورْ..
ورأسي يَدورْ..
كأنّيَ عُصْفورةٌ جائِعَهْ
تُفَتِّشُ عن فَضَلاتِ البُذورْ
لعلَّكَ يا.. يا صديقي الأثيرْ
تركتَ بإحدى الزوايا.. عبارةَ حُبٍّ قَصيرَهْ..
جُنَيْنَةَ شوقٍ صغيرَهْ..
لعلَّكَ بين الصحائفِ خَبَّأتَ شَيًّا
سلامًا صغيرًا.. يُعيدُ السلامَ إليَّا..

7

.. وحينَ نكونُ معًا في الطريقْ
وتأخُذُ – من غير قصدٍ – ذراعي
أُحسُّ أنا يا صديقْ..
بشيءٍ عميقْ..
بشيءٍ يُشابهُ طَعْمَ الحريقْ
على مَرْفَقي..
وأَرْفَعُ كفيَّ نحو السماءْ
لتَجْعَلَ دَرْبي بغير انتهاءْ..
وأبكي.. وأبكي.. بغير انقطاعِ..
لكيْ يستمرَّ ضَيَاعي..

8

وحينَ أعودُ مساءً إلى غُرْفَتي..
وأنْزَعُ عن كتفيَّ الرداءْ..
أُحِسُّ – وما أنتَ في غُرْفَتي –
بأنَّ يَدَيْكْ..

تُلفَّانِ في رحمةٍ مِرْفَقي..
وأَبقى لأعْبُدَ يا مُرْهِقي
مكانَ أصابِعِكَ الدافئاتِ
على كُمِّ فُسْتانيَ الأزْرَقِ..
وأبكي.. وأبكي.. بغير انقطاعِ
كأنَّ ذراعيَ ليسَتْ ذراعي..

حَبيبَتي، 1961

رِسالة مِن سَيِّدةٍ حاقِدة

«لا تَدْخُلي..»
وسَدَدْتَ في وجهي الطريقَ بمرْفَقَيْكْ
وَزَعمْتَ لي..
أنَّ الرفاقَ أتَوْا إلَيكْ..
أَهُمُ الرفاقُ أتَوْا إلَيكْ؟
أَمْ أنَّ سَيِّدةً لَدَيكْ
تَحْتَلُّ بَعْدِيَ ساعِدَيْكْ؟
وَصَرَخْتَ مُحْتَدِمًا:
قِفي!
والريحُ تَمْضَغُ مِعْطَفِي
والذُلُّ يَكْسو مَوْقِفي
لا تَعْتَذِرْ يا نَذْلُ.. لا تتأسَّفِ..
أنا لستُ آسِفَةً عليكْ
لكنْ
على قلبي الوَفي
قلبي الذي لم تَعْرِفِ..

* * *

ماذا؟
لو أنَّكَ يا دني..
أَخْبَرْتَني

أَنِّي انتهى أَمْري لَدَيكْ..
فَجَميعُ ما وَشْوَشْتَني
أيَّامَ كنتَ تُحِبُّني
مِنْ أنَّني..
بيتُ الفَراشَةِ مَسْكني
وغدي انْفِراطُ السَوْسَنِ..
أَنْكَرْتَهُ أَصْلًا
كما أَنْكَرتَني..

* * *

لا تَعْتَذِرْ..
فالإثمُ يَحْصُدُ حاجِبَيْكْ
وخُطوطُ أحْمَرِها تَصيحُ بوجْنَتَيكْ
ورباطُكَ المَشْدوهُ.. يَفْضَحُ
ما لَدَيكَ.. ومَنْ لَدَيكْ..
يا مَنْ وَقَفْتُ دمي عليكْ
وذَلَلْتَني
ونَفَضْتَني
كَذُبابةٍ عَنْ عارضَيْكْ
ودَعَوْتَ سَيِّدةً إليكْ
وأَهَنْتَني..
مِنْ بَعْدِ ما كنتُ الضياءَ بناظرَيْكْ..

* * *

إنّي أراها في جِوار المَوْقِدِ
أخَذَتْ هنالكَ مَقْعَدي..
في الرُكْن.. ذاتَ المَقْعَدِ
وأراكَ تمنحُها يدًا
مَثْلوجَةً.. ذاتَ اليدِ..
سَتُرَدّدُ القِصَصَ التي أسْمَعْتَني..
ولسوفَ تُخْبرُها بما أخْبَرتَني..

وسترفَعُ الكأسَ التي جَرَّعتَني
كأسًا بها سَمَّمتَني
حتَّى إذا عادتْ إليكْ
لترُودَ موعدَها الهني..
أخْبَرتَها أن الرفاقَ أَتَوا إليكْ..
وأضَعْتَ رَونَقَها
كَما ضَيَّعتَني..

قصائِد، 1956

إعتِزال التَّمثيل

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي...
بلا مساحيقَ ولا تجميلْ
فقرّري... ما شئتِ أن تقرّري
فالجرحُ لا يحتملُ التأجيلْ
لقد تساوى حبُّنا... وكرهُنا
وأصبحَ البقاءُ كالرحيلْ

* * *

عزيزتي:
لقد قرأنا صُحُفَ الصباح مرّتينْ
وقد تطلّعنا إلى الساعة مرّتينْ
وقد تصافحنا – كما أذكُر – مرّتينْ
ولم يعُدْ أمامَنا ما نفعلُ
فنحنُ منذ نحو ساعتينْ
يقتلنا الفراغُ والتململُ
أنا هُنا... تمتصُّني سجائري
وأنتِ مستوحشةٌ...
باردةُ اليدينْ...
فحاولي أن تفهمي...
أنّ طيورَ الحبّ لا تطيرُ مرّتينْ
فالحبُّ يا صديقتي مسافرٌ

يأتي إلينا مرّةً... ويرحلُ...

* * *

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي
بحلوهِ، ومُرِّهِ
بخَيره، وشَرِّهِ
ووجههِ القبيحِ والجميلْ
أعرضُهُ عليكِ في تجرُّدٍ
فأنتِ لستِ امرأةً ساذجةً
ولا أنا أحترفُ التمثيل
يا ليتني أقدر يا صديقتي
أن أُتقنَ التمثيلْ...

أشعارٌ خارِجة على القانون، 1972

أيَظُنُّ؟

أيَظُنُّ أنِّي لُعْبَةٌ بيديهِ؟
أنا لا أُفكِّرُ في الرجوعِ إليهِ

اليومَ عادَ. كأنَّ شيئًا لم يكُنْ
وبراءةُ الأطفالِ في عَيْنَيْهِ

ليقولَ لي: إنّي رفيقةُ دربهِ
وبأنَّني الحبُّ الوحيدُ لَدَيْهِ

حَمَلَ الزهورَ إليَّ... كيف أرُدُّهُ
وصِبَايَ مرسومٌ على شَفَتَيْهِ

ما عدتُ أذكرُ... والحرائقُ في دمي
كيفَ التجأتُ أنا إلى زَنْدَيْهِ

خبَّأتُ رأسي عندهُ... وكأنَّني
طفلٌ أعادوهُ إلى أَبَوَيْهِ

حتَّى فساتيني التي أهملتُها
فَرِحَتْ بهِ... رَقَصَتْ على قَدَمَيْهِ

سامحتُهُ... وسألتُ عن أخبارهِ

وبكيتُ ساعاتٍ على كَتِفَيْهِ

وبدون أنْ أدري تركتُ له يدي
لتنامَ كالعصفور بينَ يديْهِ...

ونسيتُ حقدي كُلَّهُ في لحظةٍ
مَنْ قالَ إنّي قد حقدتُ عليهِ

كم قلتُ إنّي غيرُ عائدةٍ لهُ
ورجعتُ... ما أحلى الرجوعَ إليهِ...

حَبيبَتي، 1961

ماذا أقولُ له؟

ماذا أقول لهُ لو جاء يسألني...
إن كنتُ أكرههُ أو كنتُ أهواهُ؟

ماذا أقولُ، إذا راحتْ أصابعُهُ
تُلَمْلِمُ الليلَ عن شَعري وترعاهُ؟

وكيف أسمحُ أن يدنو بمقعدِه؟
وأن تنام على خصري ذراعاهُ؟

غدًا إذا جاء... أُعطيه رسائلَهُ
ونُطعمُ النارَ أحلى ما كتبناهُ

حبيبتي! هل أنا حقًّا حبيبتُهُ؟
وهل أُصدِّقُ بعد الهجر دعواهُ؟

أما انتهتْ من سنينٍ قصَّتي معهُ؟
ألمْ تمُتْ كخُيوط الشمس ذكراهُ؟

أما كَسَرْنا كؤوسَ الحبِّ من زمنٍ
فكيف نبكي على كأسٍ كسرناهُ؟

ربَّاهُ... أشياؤه الصغرى تعذّبُني

فكيف أنجو من الأشياء ربَّاهُ؟

هنا جريدتُهُ في الركن مهملةٌ
هنا كتابٌ معًا... كنا قرأناهُ

على المقاعد بعضٌ من سجائرِهِ
وفي الزوايا... بقايا من بقاياهُ...

مالي أُحدِّق في المرآة... أسألُها
بأيِّ ثوبٍ من الأثواب ألقاهُ

أأدَّعي أنّني أصبحت أكرهُهُ؟
وكيف أكرهُ مَنْ في الجفن سكناهُ؟

وكيف أهرب منه؟ إنَّه قَدَري...
هل يملكُ النهرُ تغييرًا لمجراهُ؟

أُحبُّه... لستُ أدري ما أُحبُّ به
حتى خطاياه ما عادتْ خطاياهُ

الحبُّ في الأرضِ. بعضٌ من تخيُّلِنا
لم لو نجدهُ عليها، لاخترعناهُ...

ماذا أقولُ له لو جاء يسألني
إن كنتُ أهواهُ. إنّي ألفُ أهواهُ...

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

قِصَّة خِلافَاتِنا

1

برَغْمِ.. جميع خلافاتِنا
برَغْمِ جميع قراراتِنا
بأَنْ لا نعودْ
برَغْمِ العَدَاءِ.. برغْمِ الجَفَاءِ..
برَغْمِ البُرُودْ..
برغْمِ انطفاء ابتساماتِنا
برغْمِ انقطاع خطاباتِنا
فثمَّةَ سرٌّ خفيٌّ
يُوحِّدُ ما بينَ أقدارِنا
ويُدْني مواطيءَ أقدامِنا
ويُفْنيكِ فيَّ
ويصهرُ نارَ يَدَيْكِ بنارِ يديَّ..

2

برغْمِ جميع خلافاتِنا
برغْمِ اختلاف مناخاتِنا
برغْمِ سُقُوط المَطَرْ..
برغْمِ استعادة كُلِّ الهدايا
وكُلِّ الصُوَرْ..

برغْمِ الإناءِ الجميلِ
الذي قلتِ عنهُ.. انكسَرْ
برغْمِ رَتَابَةِ ساعاتِنا
برغْمِ الضَجَرْ..
فلا زلتُ أؤمنُ أنَّ القدَرْ
يُصِرُّ على جمع أجزائِنا
ويرفضُ كُلَّ اتهاماتِنا..

3

برغْم خريف علاقاتِنا
برغْم النزيف بأعماقِنا
وإصرارِنا..
على وضع حدٍّ لمأساتِنا
بأيِّ ثَمَنْ..
برغْم جميع ادِّعاءاتِنا
بأنِّيَ لنْ..
وأنَّكِ لَنْ..
فإنّي أشُكُّ بإمكاننا
فنحنُ برغْمِ خلافاتِنا
ضعيفانِ في وجه أقدارِنا
شبيهانِ في كُلِّ أطوارِنا
دفاترُنا، لونُ أوراقِنا
وشَكْلُ يديْنا.. وأفكارِنا
فحتَّى نقوشُ ستاراتِنا
وحتّى اختيارُ اسطواناتِنا
دليلٌ عميقْ
على أنّنا..
رفيقا مصيرٍ، رفيقا طريقْ
برغْم جميع حماقاتِنا..

حَبيبَتي، 1961

أُحبّكِ جدًّا

أُحبُّكِ جِدًّا...
وأعرفُ أنّي تورَّطتُ جِدًّا...
وأحرقتُ خلفي جميعَ المراكبْ
وأعرِفُ أنِّي سأُهزَمُ جِدًّا
برغمِ أُلوفِ النساءِ...
ورغْمِ أُلوفِ التجارِبْ...

* * *

أُحبُّكِ جِدًّا...
وأعرفُ أنِّي بغاباتِ عينيْكِ...
وحدي أُحاربْ
وأنِّي ككُلِّ المجانينِ...
حاوَلتُ صَيْدَ الكواكِبْ.
وأَبقَى أُحبُّكِ رغمَ اقتِناعي
بأنَّ بقائي إلى الآنَ حيًّا...
أقاومُ نَهْدَيْكِ... إحدى العجائِبْ...

* * *

أُحبُّكِ جِدًّا...
وأعرِفُ أنّي أُقامِرْ
برأسي، وأنَّ حِصانيَ خاسِرْ
وأنَّ الطريقَ لبَيْتِ أبيكِ

محاصَرةٌ بأُلوفِ العساكِرْ
وأَبقَى أُحبُّكِ... رغمَ يَقيني
بأنَّ التَّلفُّظَ باسمِكِ كُفْرٌ
وأنّي أحارِبُ فوقَ الدفاترْ...

* * *

أُحبُّكِ جِدًّا...
وأعرفُ أنَّ هواكِ انتحارُ
وأنّيَ حينَ سأُكملُ دَوْرِي
سَيُرْخَى عليَّ الستارُ
وأُلقي برأسي على ساعِدَيْكِ
وأعرفُ أنْ لنْ يجيءَ النهارُ
وأُقْنِعُ نفسي بأنَّ سُقُوطي...
قَتيلًا على شَفَتَيْكِ... انتصارُ

* * *

أُحبُّكِ جِدًّا...
وأعرفُ منذُ البدايَهْ
بأنِّي سأفشَلْ...
وأنّي خلالَ فُصُولِ الروايَهْ... سأُقْتَلْ
ويُحْمَلُ رأسي إليكْ
وأنِّي سأبقى ثلاثينَ يومًا
مُسجًّى كطفلٍ على رُكْبتَيْكْ
وأفرحُ جدًّا... برَوْعَةِ تلكَ النهايَهْ

قصائِد مُتوحّشة، 1970

أينَ أذهَبُ؟

لم أعُدْ داريًا... إلى أينَ أذهبْ
كلَّ يومٍ... أُحسُّ أنَّكِ أقربْ
كلَّ يومٍ... يصيرُ وجهُكِ جزءًا
مِنْ حياتي... ويصبحُ العمرُ أخصَبْ
وتصيرُ الأشكالُ أجملَ شكلًا
وتصيرُ الأشياءُ أحنى وأطيَبْ
قد تسرَّبْتِ في مسامات جلْدي
مثلما قطرةُ الندى... تتسرَّبْ
إعتيادي على غيابكِ صَعْبٌ...
واعتيادي على حضوركِ أصعبْ
كم أنا... كم أنا أُحبُّكِ... حتّى
أنَّ نفسي مِنْ نَفْسِها... تتعجَّبْ
يسكنُ الشعرُ في حدائق عينَيْكِ
فلولا عيناكِ... لا شِعْرَ يُكتَبْ
منذ أحْبَبْتُكِ الشموسُ استدارتْ
والسماواتُ... صِرْنَ أنْقَى وأرحبْ
منذُ أحببتُكِ... البحارُ جميعًا
أصبحتْ من مياه عينيكِ تشربْ
حبُّكِ البربريُّ... أكبرُ منّي
فلماذا... على ذراعيكِ أُصلَبْ؟

خطأي... أنَّني تصوَّرتُ نفسي
مَلِكًا، يا صديقتي، ليس يُغلَبْ
وتصرَّفتُ مثلَ طفلٍ صغيرٍ...
يشتهي أنْ يطولَ أبْعَدَ كوكبْ...
سَامِحيني... إذا تمادَيْتُ في الحُلْمِ
وألْبَسْتُكِ الحريرَ المُقَصَّبْ...
أتمنَّى... لو كُنتِ بؤبؤَ عَيْني
أتُراني طلبتُ ما ليس يُطْلَبْ؟
أخبريني من أنتِ؟ إنَّ شُعُوري
كشُعورِ الذي يطاردُ أرنبْ
أنتِ أحلى خُرافةٍ في حياتي
والذي يتبعُ الخُرافاتِ يتعَبْ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

قَصيدة الحُزن

عَلَّمني حبُّكِ أَنْ أَحْزَنْ
وأنا محتاجٌ منذ عُصورْ
لامرأةٍ تجعلُني أَحْزَنْ
لامرأةٍ أبكي فوق ذراعيْها
مثلَ العُصْفورْ...
لامرأةٍ تَجْمَعُ أجزائي
كشظايا البلّورِ المَكْسُورْ

* * *

عَلَّمني حُبُّكِ، سيّدتي، أَسوأَ عاداتْ
عَلَّمني أفْتَحُ فِنْجَاني
في الليلةِ، آلافَ المرَّاتْ
وأُجَرِّبُ طِبَّ العطَّارينَ...
وأطرُقُ بابَ العرَّافاتْ
عَلَّمني... أخرجُ من بيتي
لأُمَشِّطَ أَرْصِفةَ الطُرُقَاتْ
وأُطاردَ وجْهَكِ في الأمطارِ...
وفي أضواءِ السَيَّاراتْ
وأُطاردَ ثوبَكِ... في أثوابِ المجهولاتْ
وأُطاردَ طيفَكِ...

حتَّى... حتَّى... في أوراق الإعلاناتْ...

* * *

عَلَّمني حُبُّكِ...
كيفَ أهيمُ على وجهي... ساعاتْ
بحثًا عن شَعْرٍ غَجَريٍّ
تحسدُهُ كلُّ الغَجَرِيَّاتْ
بحثًا عن وجهٍ... عن صوتٍ...
هو كلُّ الأوجُهِ، والأصواتْ...

* * *

أَدْخَلَني حبُّكِ، سَيِّدتي،
مُدُنَ الأحزانْ
وأنا مِنْ قبلكِ لم أدخُلْ
مُدُنَ الأحزانْ...
لمْ أَعرفْ أبدًا... أنَّ الدمعَ هو الإنسانْ
أنَّ الإنسانَ بلا حُزْنٍ
ذكرى إنسانْ...

* * *

عَلَّمني حُبُّكِ...
أنْ أتصرَّفَ كالصِبْيانْ
أنْ أرسمَ وجهكِ...
بالطَبْشُورِ على الحيطانْ
وعلى أشرعةِ الصَيَّادينَ...
على الأجْراسِ... على الصُلْبانْ...
عَلَّمني حبُّكِ...
كيفَ الحبُّ يُغيِّرُ خارطةَ الأزمانْ
عَلَّمني... أنّي حينَ أُحبُّ
تَكُفُّ الأرضُ عن الدَوَرَانْ...

* * *

علَّمني حبُّكِ أشياءً...
ما كانتْ أبدًا في الحُسْبَانْ
فَقَرأتُ أقاصيصَ الأطفالِ...
دخلتُ قُصُورَ مُلُوكِ الجانْ
وحَلِمتُ بأنْ تتزوَّجَني بِنْتُ السُلْطَانْ
تِلْكَ العَيْنَاهَا...
أصفى مِنْ ماء الخلْجَانْ
تلكَ الشَفَتَاها...
أشْهَى من زَهْر الرُمَّانْ
وَحَلِمتُ بأنّي أخطُفُها مثلَ الفُرْسانْ...
وحلمتُ بأنّي أُهديها أطواقَ اللؤلؤ والمرجانْ
عَلَّمني حبُّكِ، يا سيِّدتي، ما الهَذَيانْ
عَلَّمني... كيفَ يمرُّ العُمْرُ...
ولا تأتي بِنْتُ السلْطانْ...

* * *

عَلَّمني حُبُّكِ...
كيفَ أُحبُّكِ في كُلِّ الأشياءْ
في الشَجَر العاري، في الأوراقِ اليابسةِ الصفراءْ
في الجوِّ الماطرِ، في الأنواءْ،
في أصْغَرِ مقهى... نَشْرَبُ فيهِ...
مساءً، قهوتَنا السوداءْ
عَلَّمني حُبُّكِ أنْ آوي...
لفنادقَ ليسَ لها أسماءْ...
وكنائسَ ليسَ لها أسماءْ...
ومَقَاهٍ ليس لها أسماءْ...

* * *

عَلَّمني حبُّكِ...
كيفَ الليلُ يُضَخِّمُ أحزانَ الغُرَبَاءْ
عَلَّمني... كيفَ أرى بيروتْ

إمرأةً... طاغيةَ الإغراءْ
إمرأةً... تلبسُ كُلَّ مساءْ
أجملَ ما تملكُ من أزياءْ
وتَرُشُّ العطرَ على نَهْدَيْها...
لِلبَحَّارةِ والأُمَرَاءْ...
عَلَّمني حبُّكِ
أنْ أبكي من غير بُكاءْ
عَلَّمني... كيف ينامُ الحُزْنْ
كغُلامٍ مَقْطُوعِ القَدَمَيْنْ
في طُرُقِ (الرَوْشَةِ) و(الحمراءْ)...

* * *

عَلَّمني حُبُّكِ أن أحزَنْ...
وأنا محتاجٌ منذُ عُصُورْ
لامرأةٍ... تجعَلُني أحزَنْ
لامرأةٍ... أبكي فوقَ ذراعَيْها...
مثلَ العُصفورْ...
لامرأةٍ... تجمعُ أجزائي
كشَظايا البلَّوْرِ المكْسُورْ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

كِتابُ الحُبّ

ما دُمْتِ يا عصفورتي الخضراءْ
حَبيبَتي
إذنْ.. فإنَّ اللهَ في السماءْ

* * *

تسألُني حبيبتي:
ما الفرقُ ما بيني وما بينَ السَمَا؟
الفرقُ ما بَيْنَكُما
أنَّكِ إنْ ضحكتِ يا حبيبتي
أنسى السَمَا

* * *

الحبُّ يا حبيبتي
قصيدةٌ جميلةٌ مكتوبةٌ على القَمَرْ
الحبُّ مرسومٌ على جميعِ أوراقِ الشَجَرْ
الحبُّ منقوشٌ على..
ريش العصافيرِ، وحبَّاتِ المطَرْ
لكنَّ أيَّ امرأةٍ في بَلَدي
إذا أحبَّتْ رَجُلًا
تُرْمى بخمسينَ حَجَرْ..

* * *

ما زِلْتَ تسألُني عن عيد ميلادي
سجِّلْ لديكَ إذَنْ.. ما أنتَ تجهلُهُ
تاريخُ حُبِّكَ لي.. تاريخُ ميلادي

* * *

لو كنتِ يا صديقتي
بمُستوى جنُوني..
رمَيْتِ ما عليْكِ مِنْ جواهرٍ
وبعتِ ما لديْكِ من أساورٍ
ونمتِ في عُيوني

* * *

أشكوكِ للسَماءْ
أشكوكِ للسَماءْ
كيفَ استطعتِ، كيفَ، أن تختصري
جميعَ ما في الأرضِ من نِساءْ

* * *

لأنَّ كلامَ القواميسِ ماتْ
لأنَّ كلامَ المكاتيبِ ماتْ
لأنَّ كلامَ الرواياتِ ماتْ
أُريدُ اكتشافَ طريقةِ عِشْقٍ
أُحبُّكِ فيها.. بلا كَلِماتْ

* * *

أكرهُ أنْ أحبَّ مثلَ الناسْ
أكرهُ أنْ أكتُبَ مثلَ الناسْ
أودُّ لو كانَ فمي كنيسةً
وأحرُفي أجراسْ..

* * *

عُدِّي على أصابعِ اليَدَيْنِ، ما يأتي:
فأوَّلًا: حبيبتي أنتِ

وثانيًا: حبيبتي أنتِ
وثالثًا: حبيبتي أنتِ
ورابعًا وخامسًا
وسادسًا وسابعًا
وثامنًا وتاسعًا
وعاشرًا.. حبيبتي أنتِ..

* * *

لماذا.. لماذا.. منذ صرتِ حبيبتي
يُضيءُ مِدادي. والدفاترُ تُعشِبُ
تغيَّرتِ الأشياءُ منذ عَشِقْتني
وأصبحتُ كالأطفال.. بالشمس ألعبُ
ولستُ نبيًّا مُرْسَلًا غير أنَّني
أصيرُ نبيًّا.. عندما عنكِ أكتُبُ..

* * *

حينَ أكونُ عاشقًا
أشعرُ أنّي ملكُ الزمانِ
أمتلكُ الأرضَ وما عليها
وأدخلُ الشمسَ على حصاني

* * *

حينَ أكونُ عاشقًا
أُصبحُ ضوءًا سائلًا
لا تستطيعُ العينُ أن تراني
وتُصبِحُ الأشعارُ في دفاتري
حُقولَ ميموزا وأقحوانِ

* * *

أخطأتِ يا صديقتي بفَهْمي..
فما أُعاني عُقدةً
ولا أنا أوديبُ في غرائزي وحُلمي

لكنَّ كُلَّ امرأةٍ أحببتُها
أردتُ أن تكونَ لي
حبيبتي وأمّي..
من كلِّ قلبي أشتهي
لو تُصبحين أُمّي..

* * *

جَميعُ ما قالوهُ عنّي.. صحيحْ
جميعُ ما قالوهُ عن سُمْعتي
في العشقِ والنساءِ. قولٌ صحيحْ
لكنَّهُم لم يعرفوا أنّني
أنزفُ في حُبِّكِ مثل المسيحْ

* * *

أروعُ ما في حُبِّنا أنَّهُ
ليسَ لهُ عقلٌ ولا منطِقُ
أجملُ ما في حُبِّنا أنَّهُ
يمشي على الماءِ ولا يغرقُ

* * *

لا تقلقي. يا حُلْوةَ الحُلْواتِ
ما دُمتِ في شِعري وفي كَلِماتي
قد تكبرينَ مع السنينِ.. وإنَّما
لَنْ تَكبري أبدًا.. على صَفَحاتي

* * *

أجملُ ما فيكِ هو الجُنونْ
أجملُ ما فيكِ – إذا سَمَحْتِ لي –
خروجُ نهديكِ على القانونْ..

* * *

.. وكلّما انفصلتُ عن واحدةٍ
أقولُ في سذاجةٍ:

«سوفَ تكونُ المرأةَ الأخيرَهْ»
«والمرَّةَ الأخيرَهْ..»
وبَعْدَها.. سقطتُ في الغرام ألفَ مرّة
ومِتُّ ألفَ مرّةٍ..
ولم أزلَ أقولُ:
«تلكَ المرَّةُ الأخيرَهْ..»

* * *

لأنَّ حُبَّي لكِ فوقَ مستوى الكلامْ..
قرَّرتُ أن أسكُتَ.. والسلامْ..

كِتاب الحُبّ، مختارات، 1970

حين أُحبُّكِ...

يتغيَّرُ – حينَ أُحبُّكِ – شكلُ الكرة الأرضيَّهْ...
تتلاقى طُرُق العالم فوق يديْكِ... وفوقَ يَدَيَّهْ
يتغيَّرُ ترتيبُ الأفلاكْ
تتكاثرُ في البحر الأسماكْ
ويسافرُ قَمَرٌ في دورتيَ الدَمَويَّهْ
يتغيَّرُ شَكْلي:
أُصبحُ شَجَرًا... أُصبحُ مَطَرًا...
أُصبحُ ضوءًا أسودَ، داخلَ عَيْنٍ إسبانيَّهْ...

* * *

تتكوَّنُ – حينَ أُحبّكِ – أوديَةٌ وجبالْ
تزدادُ ولاداتُ الأطفالْ
تتشكَّلُ جُزُرٌ في عينيكِ خرافيَّهْ...
ويشاهدُ أهلُ الأرضِ كواكبَ لم تخطُرْ في بالْ
ويَزيدُ الرزقُ، يَزيدُ العشقُ، تزيدُ الكُتُبُ الشعريّهْ...
ويكونُ اللهُ سعيدًا في حُجْرتِهِ القَمَريَّهْ...
تتحضَّرُ – حين أُحبُّكِ – آلافُ الكَلماتْ
تتشكَّلُ لغةٌ أخرى...
مُدُنٌ أُخرى...
أُمَمٌ أُخرى...
تُسرعُ أنفاسُ الساعاتْ

ترتاحُ حروفُ العَطْف... وتَحْبَلُ تاءاتُ التأنيثِ...
وينبتُ قمحٌ ما بين الصَفَحَاتْ
وتجيءُ طيورٌ من عينيكِ... وتحملُ أخبارًا عسليَّهْ
وتجيءُ قوافلُ من نهديكِ... وتحملُ أعشابًا هنديَّهْ
يتساقطُ ثَمَرُ المانغو... تشتعلُ الغاباتْ
وتَدُقُّ طُبُولٌ نُوبِيَّهْ...

* * *

يمتلئُ البحرُ الأبيضُ – حين أُحبُّكِ – أزهارًا حمراءْ
وتلوحُ بلادٌ فوق الماءْ
وتغيبُ بلادٌ تحت الماءْ
يتغيَّرُ جلدي...
تخرجُ منهُ ثلاثُ حماماتٍ بيضاءْ
وثلاثُ ورودٍ جُوريَّهْ
تكتشف الشمسُ أنوثَتَها...
تَضَعُ الأقراطَ الذهبيَّهْ
ويهاجرُ كلُّ النحل إلى سُرَّتكِ المنسيَّهْ
وبشارع ما بين النهدينْ...
تتجمَّعُ كلُّ المَدَنِيَّهْ...

* * *

يستوطنُ حزنٌ عبَّاسِيٌّ في عينيكِ...
وتبكي مُدُنٌ شِيعيَّهْ
وتلوحُ مآذنُ من ذَهَبٍ
وتُضيءُ كُشُوفٌ صوفيَّهْ
وأنا الأشواقُ تُحوّلني
نَقْشًا... وزخارفَ كُوفيَّهْ
أتمشّى تحت جسور الشَعْر الأسودِ،
أَقرأُ أشعاري الليليَّهْ
أَتَخَيَّلُ جُزُرًا دافئةً
ومراكبَ صيدٍ وهميَّهْ

تحمل لي تبغًا ومحارًا... من جُزُر الهند الشرقيَّهْ...

* * *

يتخلَّصُ نهدُكِ – حينَ أُحبُّكِ – من عُقْدَتِهِ النفسيَّهْ
يتحوَّلُ برقًا. رعدًا. سَيفًا. عاصفةً رمليَّهْ...
تَتَظاهرُ – حينَ أُحبُّكِ – كلُّ المُدُنِ العربيَّهْ
تتظاهرُ ضدَّ عصور القَهرِ،
وضدَّ عصور الثأرِ،
وضدَّ الأنظمة القبليَّهْ...
وأنا أتَظَاهرُ – حين أُحبُّكِ – ضدَّ القبح،
وضدَّ ملوكِ الملحِ،
وضدَّ مؤسَّسة الصحراءْ...
ولسوفَ أظَلُّ أُحبُّكِ حتّى يأتي زَمَنُ الماء...
ولسوفَ أَظَلُّ أُحبُّكِ حتّى يأتي زَمَنُ الماءْ...

أحبّكِ... أحبّكِ والبقيّة تأتي، 1978

أُحبّكِ... أُحبّكِ.. والبقية تأتي

حديثُكِ سُجَّادةٌ فارسيَّهْ...
وعيناكِ عُصفورتانِ دمشقيّتانِ...
تطيرانِ بين الجدار وبين الجدارْ...
وقلبي يسافرُ مثل الحمامة فوقَ مياه يديكِ،
ويأخُذُ قَيْلُولةً تحت ظلِّ السِّوارْ...
وإنّي أُحبُّكِ...
لكنْ أخافُ التورُّطَ فيكِ،
أخافُ التوحُّدَ فيكِ،
أخافُ التقمُّصَ فيكِ،
فقد علَّمتْني التجاربُ أن أتجنَّب عشقَ النساءِ،
وموجَ البحارْ...
أنا لا أناقش حبَّكِ... فهو نهاري
ولستُ أناقشُ شمسَ النهارْ
أنا لا أناقش حبَّكِ...
فهو يقرّرُ في أيِّ يوم سيأتي... وفي أيِّ يومٍ سيذهبُ.
وهو يحدّدُ وقتَ الحوارِ، وشكلَ الحوارْ...

* * *

دعيني أصبُّ لكِ الشايَ،
أنتِ خرافيَّةُ الحسن هذا الصباحَ،
وصوتُكِ نَقْشٌ جميلٌ على ثوب مراكشيَّهْ

وعِقْدُكِ يلعبُ كالطفل تحت المرايا...
ويرتشفُ الماءَ من شفة المزهريَّهْ
دعيني أصبُّ لكِ الشاي، هل قلتُ إنّي أُحبُّكِ؟
هل قلتُ إنِّي سعيدٌ لأنّكِ جئتِ...
وأنَّ حضورَكِ يُسْعِدُ مثلَ حضور القصيدَهْ
ومثلَ حضور المراكبِ، والذكرياتِ البعيدَهْ...

* * *

دعيني أُترجمُ بعضَ كلام المقاعدِ وهي تُرحِّبُ فيكِ...
دعيني، أُعبِّرُ عمّا يدورُ ببال الفناجينِ،
وهي تفكّرُ في شفتيكِ...
وبالِ الملاعقِ، والسُكَّرِيَّهْ...
دعيني أُضيفُكِ حرفًا جديدًا...
على أحرُفِ الأبجديَّهْ...
دعيني أُناقضُ نفسي قليلًا
وأجمعُ في الحبّ بين الحضارة والبربريَّهْ...

* * *

– أأعجبكِ الشايُ؟
– هل ترغبينَ ببعض الحليبِ؟
– وهل تكتفينَ – كما كنتِ دومًا – بقطعةِ سُكَّرْ؟
– وأمّا أنا فأفضّلُ وجهكِ من غير سُكَّرْ...

أُكرّرُ للمرَّة الألفِ أنّي أُحبُّكِ...
كيف تريدينني أن أفسِّرَ ما لا يُفَسَّرْ؟
وكيف تريدينني أن أقيسَ مساحةَ حزني؟
وحزنيَ كالطفل... يزدادُ في كلِّ يوم جمالًا ويكبرْ...
دعيني أقولُ بكلِّ اللغات التي تعرفينَ ولا تعرفينَ...
أُحبُّكِ أنتِ...
دعيني أفتّشُ عن مفرداتٍ...
تكون بحجم حنيني إليكِ...

وعن كلماتٍ... تغطّي مساحةَ نهديكِ...
بالماء، والعُشْب، والياسمينْ
دعيني أفكّرُ عنكِ...
وأشتاقُ عنكِ...
وأبكي، وأضحكُ عنكِ...
وأُلغي المسافةَ بين الخيال وبين اليقينْ...

* * *

دعيني أنادي عليكِ، بكلِّ حروف النداءِ...
لعلّي إذا ما تَغَرْغَرْتُ باسْمِكِ، من شفتي تُولدينْ
دعيني أؤسّسُ دولةَ عشقٍ...
تكونينَ أنتِ المليكةَ فيها...
وأصبحُ فيها أنا أعظمَ العاشقينْ...
دعيني أقودُ انقلابًا...
يوطّدُ سلطةَ عينيكِ بين الشعوبِ،
دعيني... أغيّرُ بالحبِّ وجهَ الحضارةِ...
أنتِ الحضارةُ... أنتِ التراث الذي يتشكّلُ في باطن الأرض
منذ ألوف السنينْ...

* * *

أُحبُّكِ...
كيفَ تريدينني أن أبرهنَ أنّ حضورَكِ في الكون،
مثل حضور المياهِ،
ومثل حضور الشَجَرْ
وأنّكِ زهرةُ دوَّار شمسٍ...
وبستانُ نَخْلٍ...
وأُغنيةٌ أبحرتْ من وَتَرْ...
دعيني أقولُكِ بالصمتِ...
حين تضيقُ العبارةُ عمّا أُعاني...
وحين يصيرُ الكلامُ مؤامرةً أتورّط فيها.

وتغدو القصيدةُ آنيةً من حَجَرْ...

* * *

دعيني...
أقولُكِ ما بين نفسي وبيني...
وما بينَ أهداب عيني، وعيني...
دعيني...
أقولكِ بالرمزِ، إن كنتِ لا تثقينَ بضوء القمرْ...
دعيني أقولُكِ بالبَرْقِ،
أو برَذاذ المَطَرْ...
دعيني أُقدّمُ للبحر عنوانَ عينيكِ...
إن تقبلي دعوتي للسَفَرْ...
لماذا أُحبُّكِ؟
إنَّ السفينةَ في البحر، لا تتذكَّرُ كيف أحاط بها الماءُ...
لا تتذكّرُ كيف اعتراها الدُوارْ...
لماذا أُحبّكِ؟
إنَّ الرصاصةَ في اللحم لا تتساءلُ من أينَ جاءتْ...
وليست تُقدِّمُ أيَّ اعتذارْ...

* * *

لماذا أُحبُّكِ... لا تسأليني...
فليسَ لديَّ الخيارُ... وليس لديكِ الخيارْ...

أحبّكِ... أحبّكِ والبقيّة تأتي، 1978

تناقُضات ن. ق. الرائعة

1

وما بين حُبٍّ وحُبٍّ... أُحبُّكِ أنتِ...
وما بين واحدةٍ ودَّعَتْني...
وواحدةٍ سوف تأتي...
أُفتِّشُ عنكِ هنا... وهناكْ...
كأنَّ الزمانَ الوحيدَ زمانُكِ أنتِ...
كأنَّ جميعَ الوعود تصبُّ بعينيكِ أنتِ...
فكيفَ أُفسِّرُ هذا الشعورَ الذي يعتريني
صباحَ مساءْ...
وكيف تمرّينَ بالبالِ، مثلَ الحمامةِ...
حينَ أكونُ بحَضْرَة أحلى النساءْ؟...

2

وما بينَ وعديْنِ... وامرأتينِ...
وبينَ قطارٍ يجيء وآخرَ يمضي...
هنالكَ خمسُ دقائقَ...
أدعوكِ فيها لفنجان شايٍ قُبيلَ السَفَرْ...
هنالكَ خمسُ دقائقْ...
بها أطمئنُّ عليكِ قليلا...
وأشكو إليكِ همومي قليلا...

وأشتُمُ فيها الزمانَ قليلا...
هنالكَ خمسُ دقائقْ...
بها تقبلينَ حياتي قليلا...
فماذا تسمّينَ هذا التشتُّتَ...
هذا التمزُّقَ...
هذا العذابَ الطويلا الطويلا...
وكيف تكونُ الخيانةُ حلًّا؟
وكيف يكونُ النفاقُ جميلا؟...

3

وبين كلام الهوى في جميع اللغاتْ
هناكَ كلامٌ يقالُ لأجلكِ أنتِ...
وشِعْرٌ.. سيربطه الدارسونَ بعصرِكِ أنتِ...
وما بين وقتِ النبيذ ووقتِ الكتابة... يوجد وقتٌ
يكونُ به البحرُ ممتلئًا بالسنابلْ
وما بين نُقْطَة حِبْرٍ...
ونُقْطَة حِبْرٍ...
هنالكَ وقتٌ...
ننامُ معًا فيه، بين الفواصلْ...

4

وما بين فصل الخريف، وفصل الشتاءْ
هنالكَ فَصْلُ أُسَمِّيهِ فصلَ البكاءْ
تكون به النفسُ أقربَ من أيِّ وقتٍ مضى للسماءْ...
وفي اللحظات التي تتشابهُ فيها جميع النساءْ
كما تتشابهُ كلُّ الحروف على الآلة الكاتبهْ
وتصبحُ فيها ممارسةُ الجنسِ...
ضربًا سريعًا على الآلة الكاتبهْ
وفي اللحظاتِ التي لا مواقفَ فيها...

ولا عشقَ، لا كرهَ، لا برقَ، لا رعدَ، لا شِعرَ، لا نثرَ،
لا شيءَ فيها...
أُسافرْ خلفكِ، أدخلُ كلَّ المطاراتِ، أسألُ كلَّ الفنادق عنكِ،
فقد يتصادفُ أنَّكِ فيها...

5

وفي لحظاتِ القنوطِ، الهبوطِ، السقوطِ، الفراغ، الخِوَاءْ.
وفي لحظات انتحار الأماني، وموتِ الرجاءْ
وفي لحظات التناقضِ،
حين تصير الحَبيباتُ، والحبُّ ضدّي...
وتصبحُ فيها القصائدُ ضدّي...
وتصبحُ – حتّى النهودُ التي بايعتْني على العرش – ضدّي
وفي اللحظات التي أتسكَّعُ فيها على طُرُق الحزن وحدي...
أُفكِّرُ فيكِ لبضع ثوانٍ...
فتغدو حياتي حديقةَ وردٍ...

6

وفي اللحظاتِ القليلةِ...
حين يفاجئني الشعرُ دونَ انتظارْ
وتصبحُ فيها الدقائقُ حُبْلى بألفِ انفجارْ
وتصبحُ فيها الكتابةُ فِعْلَ خلاصٍ...
وفِعْلَ انتحارْ...
تطيرينَ مثلَ الفراشة بين الدفاتر والإصْبَعَيْنْ
فكيفَ أقاتلُ خمسينَ عامًا على جبهتينْ؟
وكيفَ أُبعثر لحمي على قارَّتينْ؟
وكيفَ أُجَامِلُ غيرَكِ؟
كيف أُجالسُ غيرَكِ؟
كيفَ أُضاجعُ غيرَكِ؟ كيفْ...
وأنتِ مسافرةٌ في عُرُوق اليدينْ...

7

وبين الجميلات من كل جنْسٍ ولونِ.
وبين مئات الوجوه التي أقنعَتْني... وما أقنعَتْني
وما بين جرحٍ أُفتّشُ عنهُ، وجرحٍ يُفتّشُ عنّي...
أفكّرُ في عصرِك الذهبيّ...
وعصرِ المانوليا، وعصرِ الشموع، وعصرِ البَخُورْ
وأحلم في عصرِكِ الكانَ أعظمَ كلّ العصورْ
فماذا تسمّينَ هذا الشعورْ؟
وكيفَ أفسِّرُ هذا الحُضُورَ الغيابَ، وهذا الغيابَ الحُضُورْ
وكيفَ أكونُ هنا... وأكونُ هناكْ؟
وكيف يريدونني أن أراهُمْ...
وليس على الأرض أنثى سواكْ

8

أُحبُّكِ... حين أكونُ حبيبَ سواكِ...
وأشربُ نَخْبَكِ حين تصاحبني امرأةٌ للعشاءْ
ويعثر دومًا لساني...
فأهتُفُ باسمكِ حين أنادي عليها...
وأُشغِلُ نفسي خلال الطعامْ...
بدرس التشابه بين خطوط يديْكِ...
وبينَ خطوط يديْها...
وأشعرُ أني أقومُ بِدَوْر المُهرِّجِ...
حين أُركّزُ شالَ الحرير على كتِفَيْها...
وأشعرُ أنّي أخونُ الحقيقةَ...
حين أقارنُ بين حنيني إليكِ، وبين حنيني إليها...
فماذا تسمّينَ هذا؟
ازدواجًا...سقوطًا... هروبًا... شذوذًا... جنونًا...
وكيف أكونُ لديكِ؟
وأزعُمُ أنّي لديها...

أحبّكِ... أحبّكِ والبقيّة تأتي، 1978

رِسالَةُ حُبّ رقم 18

لستُ معلِّمًا...
لأعلّمك كيف تُحبّينْ.
فالأسماك، لا تحتاج إلى معلِّمْ
لتتعلَّمَ كيف تسبحْ...
والعصافير، لا تحتاج إلى معلِّمْ
لتتعلّمَ كيف تطير...
إسبحي وحدَكِ...
وطيري وحدَكِ...
إنّ الحبّ ليس له دفاتر...
وأعظمُ عشّاق التاريخ...
كانوا لا يعرفون القراءة...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 19

دعي بورجوازيَّتكِ، يا سيّدتي
وسريرَ لويس السادس عشر
الذي تنامين عليه...
دعي عطورَك الفرنسيّة
وحقائبَك المصنوعة من جلد التمساح...
واتبعيني...
إلى جُزُر المطر...
والأناناسْ...
والتوابل الحارقة...
حيث مياه السواحل ساخنة كجسدك...
وثمار المانغو...
مستديرة كنهديكِ...
إرمي كلَّ شيء وراءك...
واقفزي على صدري...
كسنجابٍ إفريقي...
فأنا يعجبني...
أن تتركي خدشًا واحدًا على سطح جلدي...
أو جرحًا واحدًا على زاوية فمي...
أتباهى به...
أمام رجال العشيرة...

آهِ... يا امرأةَ التردّد... والبرودْ
يا امرأة ماكس فاكتور... وإليزابيت آردنْ
متحضِّرة أنتِ إلى درجة لا تحتملْ...
تجلسين على طاولة الحبّ...
وتأكلين بالشوكة والسكّينْ
أما أنا يا سيّدتي...
فبدويٌّ يختزن في شفتيه
عصورًا من العطش...
ويخبّىء تحت عباءته
ملايينَ الشموسْ...
فلا تغضبي منّي...
إذا خالفتُ آدابَ المائدة
ونزعتُ عن رقبتي الفوطةَ البيضاء
وعرَّيتكِ من ملابسك التنكّريّة
وعلّمتكِ...
كيف تأكلين بكلتا يديكِ
وتركضين على رمال صدري
كمهْرةٍ بيضاءْ
تصهل في البادية...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 23

فكّرتُ أن أستولدكِ طفلًا...
يأتي... وفي فمه قصيدة.
فكّرتُ أن استولدكِ قصيدة...
فكّرتُ...
في ليالي الشتاء الطويلة
أن أعتدي على جميع الشرائع
وأزرعَ في رحمك عصفورًا...
يحفظ سلالةَ العصافير...
فكّرتُ...
في ساعات الهَذَيان واحتراق الأعصابْ...
أن أستنبتَ في أحشائكِ
غابةَ أطفال...
يحفظون تقاليدَ الأُسرة
في كتابة الشعر
ومغازلةِ النساءْ...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 45

أريد أن أركب معكِ...
ولو لمرّةٍ واحدة...
قطارَ الجنون...
قطارًا ينسى أرصفتَه،
وقضبانَهُ، وأسماءَ مسافريه...
أريد أن تلبسي...
ولو لمرّةٍ واحدة...
معطفَ المطر...
وتقابليني في محطّة الجنون...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَة حُبّ رقم 58

كلّما ضربَ المطرُ شبابيكي...
أتلمّس مكانكِ الخالي...
كلّما لَحَسَ الضبابُ زجاجَ سيّارتي
وحاصرني الصقيع...
وتجمّعت العصافير
لتنتشل سيّارتي المدفونة في الثلج
أتذكّر حرارةَ يديكِ الصغيرتين...
والسجائرَ التي كنّا نقتسمها
كالجنود في خنادقهم...
نصفٌ لكِ...
ونصفٌ لي...
كلّما علكت الرياحُ ستائرَ غرفتي
وعلكتْني...
أتذكّر حبَّكِ الشتائي...
وأتوسّل إلى الأمطار
أن تُمطِرَ في بلادٍ أخرى
وأتوسّلُ إلى الثلج
أن يتساقطَ في مُدُنٍ أخرى
وأتوسّل إلى الله
أن يلغي الشتاء من مفكّرته

لأنّني لا أعرف...
كيف سأقابل الشتاء بعدك...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 61

قُضيَ الأمرُ... وأصبحتِ حبيبتي
قُضيَ الأمر...
ودخلتِ في طيّات لحمي... كالظفر الطويلْ...
كالزَرّ في العُرْوَة...
كالحَلَق في أُذُن امرأةٍ إسبانيّة...

* * *

لن تستطيعي بعد اليوم...
أن تحتجّي...
بأنّي مَلِكٌ غيرُ ديمُقراطي
فأنا في شؤون الحُبِّ... أصنعُ دساتيري
وأحكم وحدي.
هل تستشير الورقةُ الشجرةَ قبل أن تطلع؟
هل يستشير الجنينُ أمَّه قبل أن ينزل؟
هل يستشير النهدُ الغلالة...
قبل أن يتكوَّر؟

* * *

كوني إذَنْ حبيبتي
واسكتي...
ولا تناقشيني في شرعيّة حبّي لكِ
لأنّ حبّي لكِ شريعةٌ

أنا أكتبُها...
وأنا أنفّذها...
أمّا أنتِ...
فمهمّتك أن تنامي كزهرة مارغريت
بين ذراعيّ
وتتركيني أحكُم...
مهمّتك يا حبيبتي
أنْ تظلّي حبيبتي...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 75

بعد دقائق. تضربُ الساعةُ الثانيةَ عشرةْ...
وينتهي عامٌ... ويولد عامْ...
لا تهمّني السنوات التي تولد...
ولا السنواتُ التي تموت...
فأنتِ الزمنُ الوحيد...
الذي لا تغتاله عقاربُ الساعاتْ...

* * *

لن أُقبّلك عندما تُطفأ الأنوارْ...
كما يفعل كلُّ الأغبياء...
ولن أرقصَ معكِ بشراسة
كما يفعل كلُّ المجانين...
ولن أخترعَ كلامًا سخيفًا
يحمل إليكِ أطيبَ تمنّياتي بعامٍ جديدْ...
فالتمثيلُ ليس مهنتي...
إنّي أحبُّكِ...
بعيدًا عن كؤوس الويسكي...
وقُبَّعات الورقْ...
بعيدًا عن موسيقى الجاز...
وانفجار البالونات الملوّنة...
أحبّكِ...

وأنا أنزفُ على الطاولة وحدي...
كما ينزف مصارع الثيرانْ...
أحبّكِ...
قبل أن تضربَ الساعةُ الثانيةَ عشرهْ...
وبعد أن تضربَ الساعةُ الثانيةَ عشرهْ...
فما أنتِ حبيبة الساعة الثانيةَ عشرهْ...
وإنّما حبيبة كلِّ الساعاتْ...
وكلِّ الأزمنة...

* * *

بعد دقائقْ...
سيرحل عامٌ كنتِ سيّدتَه ومليكتَهْ
فيا سيّدتي ومليكتي
لا أريد من الله ذهبًا ولا قصورا...
لا أريد منه ديباجًا ولا حريرا...
أريدُ منه فقط...
أن يُبيقيكِ حبيبتي...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 86

إشربي فنجانَ قهوتك...
واستمعي بهدوء إلى كلماتي...
فربّما...
لن نشربَ القهوةَ معًا... مرّةً ثانية
ولن يُتاح لي أن أتكلّم مرّةً ثانية.

* * *

لن أتحدّثَ عنكِ...
ولن أتحدّثَ عنّي...
فنحنُ صِفران على شمال الحبّ...
سطرانِ مكتوبانِ بالرصاص على هامشهْ...
ولكنّني سأتحدّثْ...
عمّا هو أكبرُ منكِ... وأكبرُ منّي
وأنظفُ منكِ... وأنظفُ منّي...
سأتحدّث عن الحبّ...
عن هذه الفَرَاشة المدهشة...
التي حطّتْ على أكتافنا وطردناها...
عن هذه السمكة الذهبيّة...
التي طلعت إلينا من أعماق البحرْ
وسحقناها...
عن هذه النجمة الزرقاءْ

التي مدّت إلينا يدها
ورفضناها...

* * *

ليست القضيّة أن تأخذي حقيبتكِ.. وتذهبي...
كلُّ النساء يأخذن حقائبهنَّ
في لحظات الغضب ويذهبنْ...
ليست القضيّة أن أطفىء لفافتي بعصبيَّة
في قماش المقعدْ...
كلُّ الرجال يحرقون قماشَ المقاعد عندما يغضبونْ.
القضيَّة ليست بهذه البساطة...
وهي لا تتعلّق بكِ... ولا تتعلّق بي
فنحنُ صِفْرانِ على شمال الحبّ...
وسطرانِ مكتوبانِ بالقلم الرصاص... على هامشهْ.
القضيّة هي قضيّة هذه السمكة الذهبيّة...
التي رماها إلينا البحر ذاتَ يوم...
وسحقناها بين أصابعنا...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 89

هل وصلنا بحبّنا إلى نقطة اللارجوعْ؟
الرجوع لا يدخل في نطاق همومي.
الذهاب معكِ... ونحوكِ... وإليكِ...
هو أساسُ تفكيري.
الذهاب الذي لا يرجع
وليس لديه تذكرةُ عودة.

* * *

إنّني أُحبّكِ...
ولا أطلب منكِ وثيقةَ تأمين
ضدَّ الموت عشقًا.
بل سأطلب منكِ – على العكس –
أن تساعديني على الموت حرقًا
على الطريقة البوذيّة...
مجنونةٌ أنتِ... إذا تصوّرتِ...
أنّني أطلب معكِ السلامة...
فحين يُحبّ رجلٌ مثلي
امرأةً مثلكِ...
تتشقّق قشرةُ الكون
وتصبح الأرضُ

علبة كبريت في يد طفل...

* * *

مجنونةٌ أنتِ... إذا فكّرتِ
أنّني أبحث لديكِ عن الطمأنينة...
أو أنّني أفكّر في العودة إلى البرّ
مرّةً أخرى...
فأنا نسيتُ تاريخي البرّيَّ كلَّهْ
نسيت الشوارعَ، والأرصفةَ، وأشجارَ السَرْو.
وكلَّ الأشياء التي لا تستطيع تغييرَ عناوينِها...

* * *

إنّني أحبّكِ...
ولا أريدُ أقراصًا منوّمة لأشواقي...
ولا حبوبًا لمقاومة الدُوارْ
إنّني بخير هكذا...
إنّني بخير هكذا...
فأنا أكون في أحسن حالاتي
عندما تهاجمني نوباتُ الهذيانْ...
فأنسى تاريخَ وجهي...
وأنسى مساحةَ جسدي
وأتلاشى... تحت شمس نهديْكِ
كما تتلاشى مدينةٌ من الشمعْ...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 92

أشعر بالحاجة إلى النطق باسمك هذا اليوم...
أشعر بحاحة إلى أن أتعلّق بحروفه كما يتعلّق طفلٌ بقطعة حلوى...
منذ زمن طويل لم أكتب اسمك في أعلى الرسائل.
لم أزرعه شمسًا في رأس الورقة... لم أتدفّأ به...
واليوم، وتشرين يهاجمني ويحاصر نوافذي، أشعر بحاجة إلى النطق به. بحاجة إلى أن أوقد نارًا صغيرة... بحاجة إلى غطاء... ومعطف... وإليك... يا غطائي المنسوج من زهر البرتقال، وطرابين الزعتر البريّ...
لم أعد قادرًا على حبس اسمكِ في حلقي. لم أعد قادرًا على حبسكِ في داخلي مدّةً أطول. ماذا تفعل الوردةُ بعطرها؟ أين تذهب الحقول بسنابلها، والطاووس بذيله، والقنديل بزيته؟
أين أذهب بكِ؟ أين أُخفيكِ؟
والناس يرونك في إشارات يدي، في نبرة صوتي، في إيقاع خطواتي...
الناس يرونكِ قطرةَ مطرٍ على معطفي، زرًّا ذهبيًّا في كُمِّ قميصي، كتابًا مقدّسًا معلّقًا بمفاتيح سيّارتي... جرحًا منسيًّا على ضفاف فمي...
وتظنّين بعد ذلك كلّه، أنكِ مجهولة وغير مرئيَّة...
من رائحة ثيابي يعرف الناس أنّكِ حبيبتي، من رائحة جلدي يعرف الناس أنّكِ كنتِ معي، من خَدَر ذراعي يعرف الناس أنّكِ كنتِ نائمة عليها...
لن أستطيع إخفاءَك بعد اليوم...
فمن أناقة خطّي يعرف الناس أنّني أكتب إليكِ...
من فرحة خطاي يعرفون أنّني ذاهبٌ إلى موعدك...
من كثافة العشب على فمي يعرفون أنّي قبّلتكِ...

لا يمكننا... لا يمكننا... أن نستمرَّ في ارتداء الملابس التنكّريَّة... بعد الآن...
فالدروبُ التي مشينا عليها لا يمكن أن تسكت...
والعصافيرُ المبلّلة التي وقفت على أكتافنا سوف تخبر العصافيرَ الأخرى...
كيف تريدينني أن أمحو أخبارَنا من ذاكرة العصافير...
كيف يمكنني أن أُقنع العصافير... أن لا تنشر مذكّراتها؟

مِئة رسالة حُبّ، 1970

رِسالَةُ حُبّ رقم 100

هذه هي رسالتي الأخيرة...
ولن يكون بعدها رسائلْ...
هذه... آخرُ غيمةٍ رماديّةٍ
تمطر عليكِ..
ولن تعرفي بعدها المطرْ...
هذا آخر النبيذ في إنائي...
وبعده...
لن يكون سُكْرٌ... ولا نبيذْ...

* * *

هذه آخرُ رسائل الجنونْ...
وآخرُ رسائل الطفولة...
ولن تعرفي بعدي، نقاءَ الطفولة، وطرافة الجنونْ...
لقد عشقتُكِ...
كطفلٍ هاربٍ من المدرسة...
يخبّىء في جيوبه العصافيرْ.
ويخبّىء القصائدْ...
كنتُ معكِ...
طفلَ الهلوسة، والشرود، والتناقضاتْ...
كنتُ طفلَ الشعر، والكتابة العصبيّة
أمّا أنتِ...

فكنتِ امرأةً شرقيّةَ الشروشْ
تنتظر قدَرَها...
في خطوط فناجين القهوة...
وملاءات الخاطباتْ...
ما أتعسَكِ يا سيّدتي...
فلن تكوني في الكُتُب الزرقاء... بعد اليوم
ولن تكوني في ورق الرسائلْ،
وبكاء الشموعْ...
وحقيبة موزِّع البريدْ...
لن تكوني في عرائس السُكَّرْ...
وطيَّارات الورق الملوّنة...
لن تكوني في وَجَع الحروفْ...
أو في وَجَع القصائدْ...
فلقد نفيتِ نفسكِ خارجَ حدائق طفولتي...
وأصبحتِ نثرًا...

مِئة رسالة حُبّ، 1970

من يَومِيّات رجُلٍ مجنون

1

إذا ما صَرَختُ:
«أُحِبُّكِ جِدًّا»
«أُحِبُّكِ جِدًّا»
فلا تُسْكِتيني.
إذا ما أضعتُ اتّزاني
وطَوَّقتُ خَصْرَكِ فوق الرصيفِ،
فلا تَنْهَريني...
إذا ما ضَرَبتُ شبابيكَ نَهْدَيْكِ
كالبَرْقِ، ذاتَ مَسَاءٍ
فلا تُطْفئيني...
إذا ما نَزَفْتُ كديكٍ جريحٍ على سَاعِدَيْكِ
فلا تُسْعِفيني...
إذا ما خرجتُ على كلِّ عُرْفٍ، وكُلِّ نظامٍ
فلا تَقْمَعيني...
أنا الآن في لَحَظاتِ الجُنُونِ العظيمِ
وسوفَ تُضيعين فُرْصَةَ عُمْرِكِ
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلّي جُنُوني.

2

إذا ما تدفَّقْتُ كالبحر فوقَ رِمَالكِ...
لا تُوقِفيني...
إذا ما طلبتُ اللجوءَ إلى كُحْل عَيْنَيْكِ يومًا،
فلا تطرُديني...
إذا ما انْكَسَرتُ فتافيتَ ضوءٍ على قَدَميْكِ،
فلا تَسْحَقيني...

3

إذا ما ارْتكَبْتُ جريمةَ حُبٍّ...
وضَيَّع لونُ البرونْزِ المُعَتَّقِ في كَتِفَيْكِ... يَقيني
إذا ما تصرّفْتُ مثلَ غُلامٍ شَقيٍّ
وغَطَّسْتُ حَلْمَةَ نهدكِ بالخَمْرِ...
لا تَضْرِبيني.
أنا الآنَ في لَحَظات الجُنُونِ الكبيرِ
وسوفَ تُضِيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ،
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلّي جُنُوني.

4

إذا ما كتبتُ على وَرَق الوردِ،
أَنِّي أُحِبُّكِ...
أرجوكِ أَنْ تقرأيني...
إذا ما رَقَدتُ كطفلٍ، بغابَاتِ شَعْرِكِ،
لا تُوقظيني.
إذا ما حَمَلتُ حليبَ العصافير... مَهْرًا
فلا تَرْفُضيني...
إذا ما بعثتُ بألفِ رسالةِ حُبٍّ
إليكِ...
فلا تُحْرِقيها... ولا تُحْرِقيني...

5

إذا ما رأَوكِ معي، في مقاهي المدينة يومًا،
فلا تُنْكريني...
فكُلُّ نِسَاء المدينةِ يعرفْنَ ضَعْفي أمامَ الجَمَالِ...
ويعرفنَ ما مصدرُ الشِعْرِ والياسَمينِ...
فكيفَ التَخَفّي؟
وأنتِ مُصَوَّرَةٌ في مياه عُيوني.
أنا الآنَ في لحظات الجُنُون المُضِيءِ
وسوفَ تُضِيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ،
إنْ أنتِ لم تستغلِّي جُنُوني.

6

إذا ما النبيذُ الفَرَنْسيُّ،
فَكَّ دبابيسَ شَعْرِكِ دونَ اعتذارِ
فحاصَرَني القمحُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرَني الليلُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرَني البحرُ من كُلِّ جانبْ
وأصبحتُ آكُلُ مثلَ المجانينَ عُشْبَ البراري...
وما عدتُ أعرفُ أينَ يميني...
وما عدتُ أعرفُ أينَ يساري

7

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
ألغى الفُروقَ القديمةَ بين بقائي وبين انتحاري
فأرجوكِ، باسْمِ جميع المجاذيبِ، أن تَفْهَميني
وأرجوكِ، حين يقولُ النبيذُ كلامًا عن الحُبِّ...
فوق التوقُّع... أن تعذُريني.
أنا الآنَ في لَحَظات الجُنُونِ البَهِيِّ
وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمرِكِ

إنْ أنتِ لم تستغلِّي جُنوني...

8

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
أَلْغَى الوُجُوهَ،
وألْغَى الخُطُوطَ،
وألْغَى الزوايا.
ولم يَبْقَ بين النساءِ سواكِ.
ولم يَبْقَ بين الرجال سوايا.
وما عدتُ أعرفُ أين تكونُ يَدَاكِ...
وأينَ تكونُ يدايا...
وما عدتُ أعرفُ كيف أُفرِّقُ بين النبيذِ،
وبين دِمَايا...
وما عدتُ أعرفُ كيف أُميِّز بين كلام يديْكِ
وبين كلام المرايا...
إذا ما تناثرتُ في آخر الليل مثلَ الشظايا
وحاصَرَني العشْقُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرني الكُحْلُ من كُلِّ جانبْ
وضَيَّعتُ إسْمي...
وعُنوانَ بيتي...
وضيَّعْتُ أسماءَ كُلِّ المراكِبْ
فأرجوكِ، بعد التناثُرِ، أن تَجْمَعيني.
وأرجوكِ، بعدَ انْكِسَاريَ، أن تُلْصِقيني
وأرجوكِ، بعدَ مَمَاتيَ، أن تَبْعَثيني
أنا الآنَ في لَحَظاتِ الجنونِ الكبيرِ
وسوف تُضِيعين فُرْصَةَ عُمْرِكِ
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلِّي جُنوني.

9

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
شالَ الكيمونُو عن الجَسَد الآسيويّ
فأطْلَعَ من عُنْمةِ النَهْد فَجْرًا
وأطْلَعَ منه بهارًا...
وأطْلَعَ منهُ مَحَارًا...
وأطْلَعَ منه نُحَاسًا، وشايًا، وعاجًا
وأطْلَعَ أشياءَ أُخرى...
إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
ألغى اللُّغَاتِ جميعًا.
وحوَّل كُلَّ الثقافات صِفْرَا...
وكُلَّ الحضاراتِ صِفْرَا
وحوَّل ثَغْرَكِ بُسْتَانَ وردٍ
وحوَّلَ ثَغْريَ خمسين ثَغْرا...
إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ أعلنَ في آخر الليلِ،
أنّكِ أحلى النساءْ...
وأرشقُهُنَّ قوامًا وخَصْرَا
وأعْلَنَ أنَّ الجميلاتِ في الكون نَثْرٌ
ووَحْدَكِ أنتِ التي صِرتِ شِعْرَا
فباسْمِ السُكَارى جميعًا
وباسْمِ الحَيَارى جميعًا
وباسْمِ الذينَ يُعانونَ من لعنة الحُبِّ،
أرجوكِ لا تَلْعَنيني...
وباسْمِ الذين يعانُونَ من ذَبْحةِ القلبِ،
أرجوكِ لا تَذْبحيني...
أنا الآنَ في لَحَظاتِ الجُنُونِ العظيمِ
وسوفَ تُضيعين فُرْصَة عُمْرِكِ،
إنْ أنتِ لم تستغلّي جُنُوني...

الحُبّ لا يَقِف على الضَّوء الأحمَر، 1985

قصيدةُ حُبٍّ فِرْعَونيَّة

مهما تعدَّدتِ النساءُ، حبيبتي
فالأصْلُ أنتِ...
مهما اللُّغَاتُ تعدَّدَتْ
والمُفْرَداتُ تعدَّدَتْ
فأهَمُّ ما في مُفْرَداتِ الشِّعْرِ
أنتِ...
مهما تَنَوَّعتِ المدائنُ، والخرائطُ،
والمرافئُ، والدروبُ،
فمرفأي الأبديُّ
أنْتِ...
مهما السماءُ تجهَّمتْ، أو أبْرَقَتْ،
أو أرْعَدَتْ،
فالشَمْسُ أنتِ...
ما كانَ حَرْفٌ في غيابكِ مُمْكِنًا
وتكوَّنَتْ كلُّ الثقافةِ،
يومَ كُنْتِ.
ولقد أُحِبُّكِ، في زَمانٍ قادمٍ
فأهَمُّ ممّا قد أتَى،
ما سوف يأتي...
هل تكتبينَ معي القصيدةَ، يا تُرى؟

أم أنتِ جزءٌ من فمي؟
أم أنتِ صوتي؟
كيف الرحيلُ إلى فَضَاءٍ آخَرٍ؟
من بعدما عَمَّرْتُ في نَهْدَيكِ،
بيتي؟...
إنّي أُحِبُّكِ، طالما أَحْيَا،
وأرجو أن أحبَّكِ،
كالفَراعِنَةِ القُدامى
بَعْدَ مَوتي...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

هراكيري

أدري،
بأنّ الشِّعْرَ ليس لهُ ثَوَابْ
والحُبَّ ليس لهُ ثَوابْ
وبرَغْم هذا كُلّهِ،
ما زلتُ من خمسينَ عامًا
سائرًا نحو الخَرابْ...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

البُوق

يشتهي الرجلُ المرأةْ...
فينفُخُ في البُوقْ...
وتشتهي المرأةُ الرجُلْ
فتأكُلُ قُطْنَ المِخدَّةْ!!...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

عمليّةُ تجميل

أنا لا أُحِبُّكِ... من أجل نَفْسي.
ولكنْ أُحِبُّكِ...
حتَّى أُجَمِّلَ وجهَ الحياةْ...
ولستُ أُحِبُّكِ...
كي تَتَكاثَرَ ذُرِّيّتي
ولكنْ أُحِبُّكِ...
كي تتكاثَرَ ذُرِّيَّةُ الكَلِماتْ...
أُحِبُّكِ...
حتّى تظلَّ السماءُ بخَيْرٍ.
ويبقى هديلُ الحَمَامِ بخَيْرٍ.
وتبقى عيونُ الصغار بخَيْرٍ.
وتبقى الشعوبُ.
وتبقى اللُّغاتْ.

هَلْ تسْمعين صَهيل أحْزاني؟، 1991

مُخَطَّطٌ نزاري لتغيير العالم...

1

أُرِيدُ أن أُحِبَّ...
حتى أجعلَ العالمَ بُرْتُقَالةً
والشَمْسُ، قنديلًا من النُحَاسْ.
أُرِيدُ أن أُحِبَّ...
حتّى أُلغيَ الشُرْطَةَ... والحُدُودَ... والأعلامَ...
واللُّغَاتِ... والألوانَ... والأجْنَاسْ...
أُرِيدُ أن أستلمَ السُلْطَةَ يا سَيِّدتي
ولو ليومٍ واحدٍ،
من أجل أن أُقيمَ...
(جُمْهُوريَّةَ الإحْسَاسْ)...

2

أُرِيدُ أن أُحِبَّ...
كيْ أغيّرَ العالمَ، يا سيِّدتي
وأمنحَ الأشياءَ بُعْدًا خامسًا
وأجعلَ النساءَ بُسْتَانًا من النَعْنَاعْ.
أريدُ أن أُلَحِّنَ الأشجارَ...
والأمطارَ...
والأقمارَ، في عَيْنَيْكِ، يا سَيِّدتي

وأضْبِطَ الإيقاعْ.

3

أُريدُ...
أن أُهنْدِسَ النَهْدَ على طريقتي
فمرّةً... أجعلُهُ كنيسةً قُوطيَّةً.
ومرّةً... أجعلُهُ مِسَلَّةً مصريّةً.
ومرّةً... أجعلُهُ مَرْوَحةً صِينيّةً.
ومرّةً...
أجعلُهُ طيَّارَةً من وَرَقٍ
أو كُرَةً من نارْ...

4

أُريدُ...
أن أُحِبَّ دُونَما تَحَفُّظٍ،
ودُونَما ندامةٍ،
ودُونما استغفارْ.
أُريدُ أن أذهَبَ في حُبِّكِ
حتى آخِرِ الجُنُونِ... والدُوَارْ...

5

أُريدُ...
أن أجعلَ من يَدَيْكِ، يا سَيِّدتي
بُسْتَانَ جُلَّنَارْ...

6

أُريدُ...
أن أخْتَصِرَ النساءَ في واحدةٍ
بحيثُ لا يبقى على الأرضِ سوى

حَضَارَةِ الأحْرُفِ...
أو حَضَارَةِ الأزْهارْ...

7

أُريدُ أَنْ أُحِبَّ...
كيْ أكتبَ شِعْرًا جيّدًا.
فالحُبُّ، في أساسِهِ
نَوْعٌ من الإبْدَاعْ.

8

أُريدُ...
أنْ أُحْرِقَ، يا سيّدتي، خَرَائِطي.
أريدُ...
أن أضيعَ في الضَيَاعْ.
لم يكُنِ الوصولُ يومًا غايتي
وإنَّما الإقْلَاعْ...

9

أريدُ...
أن أُحِبَّ، يا سَيِّدتي
كي أُخْرِجَ العُشَّاقَ من أقفاصِهِمْ.
وأُنْقِذَ الأشداءَ من خَنَاجِرِ الإقْطَاعْ...

10

أنا... وأشْعَاري
نسيجٌ واحدٌ.
لا فَرْقَ بين الوجه والقِنَاعْ.

11

بامْرَأةٍ أُحِبُّها.
بامْرَأةٍ تُحِبُّني.
أَقدِرُ يا سيِّدتي
أن أنْقُلَ الجبالَ من مكانِهَا
وأنْقُلَ البِحَارْ...

12

لا أَدَّعي قراءَةَ الغُيُوبِ
يا حبيبتي.
لكنَّما العالَمُ سوفَ ينتهي
حَتْمًا...
إذا ما انْتَهَتِ الأُنُوثَهْ...

13

يا امْرَأَةً...
تَفُوحُ من قُفْطَانِها
رائحةُ البَخُورِ، والكافُورِ، والبَهَارْ.
يا امْرأةً...
تفوحُ من ضِحْكَتِها
رائحةُ الأمطارْ.
أخافُ، إنْ تركتِني يومًا،
بأَنْ يأكُلَني الغُبَارْ...

14

كُوني إذَنْ...
قصيدَتي، وَوَرْدَتي.
كُوني إذَنْ...
صَفْصَافَتي ونَخْلَتي

فَرُبَّمَا استطعتُ، يا سَيِّدتي
بالشِّعْرِ...
أنْ أُشجِّرَ الصَحْرَاءْ...

15

هُوَ الهَوَى.
هُوَ الهَوَى.
المَلِكُ القدُّوسُ، والآمِرُ، والقَادِرُ...
والمعلومُ، والمجهولُ،
والمسكونُ بالأسرارْ.
هو الذي يلمسُنَا بكفّهِ
فتنبتُ الحِنْطَةُ تحت جِلْدِنَا
وتصدحُ الأنهارْ.
وهو الذي يَنْدَسُّ في فراشِنا
فيطلعُ اللؤلُؤ من لحافِنَا
ويطلعُ المحارْ.
وهو الذي يكتبُ في دفترِهِ
أسماءَ صاحباتِنا
وَهْوَ الذي يَخْتَارْ...

16

كُوني، إذَنْ، حبيبتي
فرُبَّما...
نقدرُ أن نغيِّرَ النظامَ
في مملكة السماءْ...

هَلْ تسْمعين صَهيل أحْزاني؟، 1991

لم أُخطِّطْ

لَمْ أُخطِّطْ أبدًا... كي أدخلَ العِشْقَ،
فتاريخي النِسائيُّ...
قَضاءٌ وَقَدَرْ.
كم تَفاجأتُ بحُبِّ امرأَةٍ
جَعَلَتْني وَردةً...
بعدما كنتُ حَجَرْ.

تزوّجتُكِ.. أيَّتُها الحُريَّة، 1988

ملاحظاتٌ في زمن الحبِّ والحرب

1

أَلاحَظتِ شيئًا؟
أَلاحَظتِ أنَّ العلاقةَ بيني وبينكِ، في زمن الحربِ
تأخُذُ شكلًا جديدا...
وتدخُلُ طورًا جديدا...
وأنَّكِ أصبحتِ أجملَ من أيِّ يومٍ مضى...
وأنّي أُحِبُّكِ أكثرَ من أيِّ يومٍ مضى...
أَلاحَظتِ كيف اخترَقنَا جدارَ الزَّمَنْ؟
وصارت مَساحةُ عينَيكِ...
مثلَ مَساحةِ هذا الوطَنْ...

2

أَلاحَظتِ هذا التَحوُّلَ في لون عينَيكِ؟
حين استمعنا معًا لبيانِ العُبورْ...
أَلاحَظتِ... كيف احتَضَنتُكِ مثل المجانينِ...
كيف عَصَرتُكِ مثل المجانينِ...
كيفَ رفَعتُكِ... ثمّ رميتُكِ...
ثمّ رفعتُكِ... ثمّ رميتُكِ...
فاليومَ عُرسٌ... وتِشرينُ سَيّدُ كُلِّ الشُّهورْ
أَلاحَظتِ... كيفَ تجاوزتُ كُلَّ ضفافي؟

وكيف غمرتُكِ مثل مياه النُّهورْ
ألاحَظتِ... كيفَ اندفعتُ إليكِ...
كأنّي أراكِ لأَوَّلِ مرَّهْ
ألاحظتِ كيف انسجَمنا...
وكيف لَهَثنا...
وكيفَ عَرِقنا...
وكيف استحلنا رمادًا...
وكيفَ بُعِثنا...
كأنَّا نُمارسُ فِعلَ الغرامِ
لأَوَّل مرَّهْ...

3

أَلاحظتِ...
كيف تحرَّرتُ من عُقدَة الذَّنبِ
كيف أعادت ليَ الحربُ كلَّ ملامح وجهي القديمَهْ
أُحِبُّكِ في زَمَن النَّصرِ...
إنَّ الهوى لا يعيشُ طويلًا
لظِلِّ الهزيمَهْ...

4

هل الحربُ تُنقِذُنا بعد طول الضَّياعْ؟
وتُضرِمُ أشواقَنا الغافيَهْ
فتجعلَني بَدَويَّ الطِّباعْ
وتجعلكِ امرأةً ثانِيهْ...

5

أَلاحَظتِ كيف اكتَشَفنا طفولَتنا
بعد ستِّ سِنينْ؟
وكيفَ رجعنا أخيرًا لمملكة العِشقِ والعاشِقينْ

أأحسَستِ مثلي... بأنَّ رجالَ المظلَّات كانوا
يحطُّونَ مثلَ الحَمام على راحَتَينا
وأنَّ جُنودَ المغاوير كانوا يمرّونَ فوق عُروق يَدَينا...
ألاحظتِ كيف نثرنا عليهمْ
عُقودَ البَنَفسَجِ والياسمينْ؟
وكيف ركضنا إليهمْ
وكيف انحَنَينا...
أمامَ بنادقهمْ خاشِعينْ
أَلاحَظتِ كيفَ ضحِكْنا؟
وكيفَ بكَينا؟
وكيفَ عَبَرنا الجسورَ مع العابرينْ...

6

تَرَكتُ عُصورَ انحطاطي وَرَائي...
تركتُ عصورَ الجَفافْ
وجئتُ على فَرَسِ الريح والكبرياءِ
لكي أَشتري لكِ ثوبَ الزفافْ...

7

تصيرينَ في زمَن الحربِ
مصقولةً كالمرايا...
ومَسحوبةً كالزُّرافَهْ
وبين يَدَينا تذوبُ الحدودُ
وتُلغَى المسافَهْ

8

قرأتُ خرائطَ جِسمِكِ في كُتُبي المَدرَسِيَّهْ
ولا زلتُ أحفظُ أسماءَ كُلِّ النُّهورْ
وأَشْكَالَ كُلِّ الصُّخورْ

وعاداتِ كُلِّ البَوادي
ولا زلتُ أحفظُ أعمارَ كُلِّ الجِيادِ
فكيف أُفَرِّقُ...
بين حرارة جسمِكِ أنتِ...
وبين حرارة أرض بلادي؟؟

9

وَجَدْنا أخيرًا... حُدودَ فَمَينا
عَثَرنا على لُغَةٍ للحوارْ
وكان حزيرانُ يجلسُ فوقَ يدينَا
ويَحبِسُنا في كهوف الغُبارْ
وكنتُ أُحِبُّكِ...
لكنَّ ليلَ الهزيمةِ صادَرَ منِّي النَّهارْ
وكنتُ أريدُ الوصولَ إليكِ...
ولكنَّهُم أنزلوني قُبَيلَ رحيل القطارْ
وكنتُ أُفكِّرُ فيكِ كثيرا
وأَحلُمُ فيكِ كثيرا...
وكنتُ أُهَرِّبُ شِعْري إليكِ
برَغمِ الحِصارْ
ولكنَّهُم أعدَموني مرارًا
وأَرخوا عليَّ السِّتارْ
ولكنْ برغم تعدُّد مَوْتي
بقيتُ أُحِبُّكِ... يا زهرَةَ الجُلَّنارْ

10

أُحِبُّكِ أنتِ...
وأكتُبُ حُبِّي على وجه كلِّ غَمامَهْ
وأُعْطي مكاتيبَ عِشقي
لِكُلِّ يَمامَهْ

أُحِبُّكِ في زمن العُنفِ...
مَنْ قال إنّي أُريدُ السَّلامَهْ
أُحِبُّكِ... يا امرأةً من بلادي
وأَنْوي، على شفتَيكِ، الإقامَهْ

11

أَلاحَظتِ... كم تُشبهينَ دمشقَ الجميلَهْ؟
وكم تُشبِهينَ المآذنَ... والجامع الأمَويَّ... ورقْصَ السَّماحْ...
وخاتَمَ أمّي...
وساحةَ مدرستي...
وجُنونَ الطُّفولَهْ...
أَلاحظتِ كم كُنتِ أُنثى؟
وكم كُنتُ ممتلئًا بالرُّجولَهْ...
أَلاحظتِ...
كيف تألّقَ وجهُكِ تحت الحَرائقْ؟
وكيف دبابيسُ شعركِ صارت بَنادِقْ؟
أَلاحَظتِ كيف تغيَّر تاريخُ عينيكِ في لَحَظاتٍ قليلَهْ؟
فأصبحتِ سيفًا بشكل امرأَهْ...
وأصبحتِ شعبًا بشكل امرأَهْ...
وأصبحتِ كلَّ التراثِ، وكُلَّ القبيلَهْ...

12

أَلاحَظتِ؟
كم كنتِ رائعةَ الحُسنِ، ذاكَ المساءْ
وكيف جلستِ أمامي كعاصمة الكبرياءْ...
وكيف تَغَيَّر إيقاعُ صوتِكِ...
حتّى تصوَّرتُ صوتَكِ يُنبوعَ ماءْ
وزَهرَةَ دِفلَى
على شَعر المَجْدليَّهْ...

أَلاحَظتِ أنَّكِ صِرتِ دمشقَ...
بكُلِّ بيارقها الأمَويَّهْ
ومِصرَ... بكُلِّ مساجدها الفاطميَّهْ
وصِرتِ حصونًا... وأكياسَ رَملٍ...
ورتلًا طويلًا من الشُّهَداءْ
أَلاحَظتِ...
أنَّكِ صرتِ خلاصةَ كُلِّ النساءْ
وصرتِ الكتابةَ والأبجَديَّهْ...

13

أُحِبُّكِ عند اشتداد العواصفِ،
لا تحتَ ضوء الشُّموعِ، ولا تحتَ ضوء القَمَرْ
وأُعلنُ للناس أنّي أُعارضُ ضوءَ القَمَرْ
وأَكرَهُ ضوءَ القَمَرْ...
أُحِبُّكِ حين تكون الشوارعُ مغسولةً بدموع المَطَرْ...
وحين تصيرُ بلون النُّحاسِ ثيابُ الشجَرْ...
أُحِبُّكِ مزروعةً في عيون الصغارْ
ومسكونةً بهموم البَشَرْ...
ومولودةً من مياه البِحارْ
وطالعةً من ضمير الحَجَرْ
أُحِبُّكِ...
حين يسافرُ شَعرُكِ في الريح دونَ جواز سَفَرْ
وحين يُغَمغِمُ نهدُكِ كالذئبِ... في لَحَظات الخَطَرْ
فهل تعرفينَ عشيقًا...
أَحَبَّكِ يومًا بهذا القَدَرْ؟

14

أُحِبُّكِ أيَّتُها الغاليَهْ
أُحِبُّكِ أيَّتُها الغاليَهْ...

أُحبُّكِ مرفوعةَ الرأسِ مثلَ قِبابِ دمشقَ،
ومثلَ مآذِن مصرَ...
فهل تسمحينَ بتقبيل جَبهتكِ العاليَهْ
وهل تسمحينَ بِنسيانِ وجْهي القديمْ؟
وشِعْري القديمْ؟
ونِسيانِ أخطائيَ الماضيَهْ...
وهل تسمحينَ بتغيير ثوبِكِ؟
إنَّ حزيرانَ ماتَ...
وإنِّي بشوقٍ لرؤية أثوابكِ الزاهيَهْ
أُحِبُّكِ أكثَرَ ممّا ببالِكِ...
أكثرَ ممّا ببال البحارِ، وبال المراكِبْ
أُحِبُّكِ تحت الغُبارِ...
وتحتَ الدمارِ...
وتحت الخرائبْ...
أُحِبُّكِ أكثرَ من أيِّ يوم مَضى...
لأنَّكِ أصبحتِ حُبِّي المُحارِبْ...

1973

الأَعمال السِّياسيَّة الكاملة، مجلّد رقم 3

مِن يَومِيّات رجُلٍ نِصْفِ مجنون

1

بعدَ تاريخٍ من النرجسيَّةِ
لا ضِفافَ لهُ...
وتاريخٍ من التَعَدُّديّهْ...
والشهرياريّهْ...
والراسْبُوتينيَّهْ...
يلاحِقُني حيثُ ذَهَبْتْ...
أشعُرُ برغبةٍ في تجميل صُورَتي لديكِ،
والإعتذارِ عن ماضٍ لم تكُوني فيهْ...
وعن حَماقاتٍ لم ترتكبيها...
وعن قصائد حُبّ مَجنُونَهْ
لم تشتركي في كتابَتِها...

2

بعدما تخلَّيْتُ عن هواياتي الأُولى
في جَمْع الطوابعْ...
وجَمْعِ التُحَفِ القديمَهْ...
وجَمْعِ النساء الجميلاتْ...
وبعدما ضجرتُ من جسدي
ومن سُيوفي الخشبيَّهْ

ومعاركي الدونكشوتيَّهْ
وإقْطاعاتي التي لا يغيبُ عنها النَهْدْ...
أطْرُقْ بابَكِ لاجئًا شِعْريًّا
مطرودًا من جميع فنادق العالمْ.
حتَّى أقولَ لكِ:
بأنَّكِ الأنثى الأخيرَهْ.
والمحطَّةُ الأخيرَهْ.
والطَلْقةُ الأخيرَهْ.

3

لا حاجةَ لارتداء الملابس المسرحيَّهْ
أو للتنكُّرِ، يا سيِّدتي
فأنا مكشوفٌ على الجهات الأربعْ...
وتاريخي معلَّقٌ على حبال الجرائد العربيَّهْ...
وأسماءُ حبيباتي... تُبَثُّ على كلّ الموجاتْ
عن طريق الأقمار الصناعيَّهْ.

4

كيفَ أُقنعُكِ...
بطهارتي، وطفولتي، وصُوفيَّتي؟
وسيرتي الذاتيَّةُ، معروضةٌ في كلّ المكتباتْ
وتعرفُها حتّى القِطَطُ... والأسماكُ...
والعصافيرْ...

5

كيف يُمكنني أن أكونَ حبيبَكِ؟
بعدَ كلِّ هذا التاريخ الذي لا يمكنُ تجميلُهْ،
ولا ترميمُهْ...
ولا غسيلُهُ بأيِّ مَسْحُوقٍ من مساحيق الغسيلْ...

6

كيفَ أُقْنِعُكِ يا سيّدتي؟
بعَدالةِ قضيّتي.
بعدَ كلّ هذا التاريخ المُضَرَّج بالفَضيحَهْ...
من أوّل سَطْرٍ، حتّى آخِرِ سَطْرٍ فيهْ...
والمُوَثَّقِ بمحاضر البوليسْ،
ومطالعةِ النيابة العامَّهْ،
وإفاداتِ أُلوف النساءْ؟؟؟

7

كيف يمكنُ أن تصدِّقَ امرأَةٌ مثلُكِ
رَجُلًا مِثْلي؟
يحملُ على كَتِفَيْه،
خمسينَ عامًا من الشِعرْ...
وخمسينَ عامًا من الجُنونْ...
ومليونَ امرأَهْ!!!

8

كيف يمكنُ لامْرأَةٍ مثلِكِ...
أن تُحِبَّ رَجُلًا مثلي
يقترفُ كلَّ يومٍ
قصيدةً جديدَهْ...
وحبيبةً جديدَهْ؟.

9

إنَّ مُشْكلتي معكِ...
هي أنَّني لا أستطيعُ أن أكونَ سِرِّيًا.
فأنا أفرزُ كلماتِ الحُبّ
كما تغزلُ شَرْنَقَةُ الحرير خُيوطَها...

وكما تصنعُ النَحْلةُ عَسَلها...

10

هل تسمحينَ لي أن أُحِبَّكِ؟؟
قد يكونُ سؤالي مُضْحِكًا
واعترافاتي قد تأخَّرتْ ثلاثينَ عامًا.
ومع هذا...
أدخُلُ عليكِ، بلا استئذانْ
لأرميَ سلاحي على قَدمَيْكِ...
وأعطيَكِ مفاتيحَ مملكتي...

11

أنا لا أريدُكِ أن تتورَّطي معي
في أيِّ مشروعٍ عاطفيّ...
فأنا أعرفُ أنّ سوابقي كثيرَهْ
وأنَّ سُمْعتي في المدينة ليستْ طيّبةَ الرائحهْ...
كما أعرفُ أنَّ ملفّي النسائيَّ بين يَدَيْكِ
سوفَ ينفجرُ في أيّة لحظَهْ.
كلُّ هذا أعرفُهْ.
غيرَ أنّني أرجُوكِ أن تعطيَني فرصةً أخيرَهْ
كي أقولَ: أُحبُّكِ...
ولو لمرَّةٍ واحدَهْ...
حتَّى أُبلِّلَ حُنْجُرتي...
وأسقي أزاهيرَ رُجولتي...

12

هل تسمحينَ أنْ...
هل تسمحينَ أنْ...
إنّني لا أنتظرُ جوابَ أسئلتي.

فالنساءُ هُنَّ مجموعةٌ من الأسئِلَهْ
لا يعرفُ جوابَها...
إلّا اللَّهْ...

أنا رجُلٌ واحِد وأنتِ قَبيلةٌ من النساء، 1993

القصِيْدَة المُتوحِّشة

أَحِبّيني... بلا عُقَدِ
وضِيعي في خُطُوطِ يَدي
أَحِبّيني... لأُسبوعٍ... لأيَّامٍ... لساعاتٍ...
فلستُ أنا الذي يَهتمُّ بالأبدِ...
أنا تِشرينُ... شَهْرُ الريح، والأمطارِ... والبَرَدِ...
أنا تِشرينُ... فانْسَحِقي
كصاعِقةٍ على جَسَدي...

* * *

أَحِبّيني...
بكُلِّ تَوَحُّشِ التَتَرِ...
بكُلِّ حرارةِ الأدغالِ، كُلِّ شَراسَة المَطَرِ
ولا تُبْقي... ولا تَذَري
ولا تَتَحضَّري أبدًا...
فقد سَقَطتْ على شَفَتَيْكِ
كلُّ حَضَارةِ الحَضَرِ...

* * *

أَحبّيني
كزَلْزَالٍ... كموتٍ غير مُنْتَظَرِ...
وخَلِّي نَهْدَكِ المَعجونَ بالكبريت والشَرَرِ
يُهاجِمُني... كَذِئبٍ، جائعٍ، خَطِرِ...

ويَنْهَشُني... ويضربُني
كما الأمطارُ تضربُ ساحلَ الجُزُرِ
أنا رَجُلٌ بلا قَدَرٍ...
فكُوني أنتِ لي قَدَري...
وأَبْقِيني على نَهْدَيْكِ
مثلَ النَقْشِ في الحَجَرِ...

* * *

أَحِبّيني... ولا تتساءَلي كيَفْا
ولا تَتَلَعْثَمي خَجَلًا... ولا تَتَسَاقَطي خَوْفا
أحِبّيني... بلا شكوى
أيَشكو الغِمْدُ... إذْ يَسْتقبِلُ السَيْفَا؟
وكُوني البحرَ والميناءَ، كُوني الأرضَ والمَنْفَى
وكُوني الصَحْوَ والإعصارَ... كُوني اللينَ والعُنْفَا
أَحِبّيني... بألفِ وألفِ أُسْلُوبٍ
ولا تَتَكرَّري كالصيف... إنّي أكرَهُ الصيفا...
أَحِبّيني... وقُوليها
لأَرفُضُ أنْ تُحِبّيني بلا صَوْتِ
وأَرفُضُ أن أُواري الحُبَّ في قَبْرٍ من الصَّمْتِ
أَحِبّيني... بعيدًا عن بلاد القَهْرِ والكَبْتِ...
بعيدًا عن مدينتنا التي شَبِعَتْ من المَوْتِ...
بعيدًا عن تَعَصُّبِها...
بعيدًا عن تَخَشُّبها...
أَحِبّيني... بعيدًا عن مدينتِنا
التي من يوم أَنْ كانتْ
إليها الحُبُّ لا يأتي...
إليها اللهُ... لا يأتي...

* * *

أحِبّيني...
ولا تَخْشَيْ على قَدَمَيْكِ، سَيّدتي، من الماءِ

فَلَنْ تتعمَّدي امرأةً...
وجِسْمُكِ خارجَ الماءِ...
وشَعْرُكِ خارجَ الماءِ...
فَنَهْدُكِ بَطَّةٌ بيضاءُ...
لا تحيا بلا ماءِ
أَحِبّيني... بطُهْري أو بأَخطائي
بصَحْوي... أو بأنوائي
وغَطِّيني...
أيا سَقْفًا من الأزهارِ...
يا غَابَاتِ حنَّاءِ
تَعرَّيْ...
واسْقُطي مَطَرًا
على عَطَشي وصحرائي
وذُوبي في فَمي كالشَمْع
وانْعَجِني بأجْزَائي
تَعَرَّيْ... واشْطُري شَفَتي
إلى نِصْفَيْنِ... يا مُوسَى بسيناءِ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

أسألكَ الرَّحيلا

لِنَفْترقْ قليلا...
لِخَيْر هذا الحبِّ، يا حبيبي، وخَيرِنا...
لنَفترقْ قليلا...
لأنّني أُريدُ أن تزيد في محبَّتي
أريدُ أنْ تكرهَني قليلا...
بِحقِّ ما لدينا...
مِنْ ذِكَرٍ غاليةٍ كانتْ على كِلَيْنَا...
بِحقِّ حُبٍّ رائعٍ...
ما زالَ منقوشًا على فَمَّيْنَا
ما زالَ محفُورًا على يَدَيْنا...
بِحقِّ ما كَتَبْتَهُ... إليَّ مِنْ رَسَائلَ...
وَوَجْهِكَ المزروعِ مثلَ وردةٍ في داخلي...
وحُبِّكَ الباقي على شَعْري... على أناملي
بِحقِّ ذكْرياتِنا
وحُزْنِنَا الجميل وابتسامِنا...
وحُبِّنا الذي غدا أكبرَ مِنْ كلامِنا
أكبرَ من شفاهِنا...
بحقِّ أحلى قِصَّةٍ للحُبِّ في حياتِنَا
أسألُكَ الرحيلا...

* * *

لِنَفْتَرِقْ أحبابا...
فالطيرُ كلَّ موسمٍ... تفارقُ الهضابا...
والشمسُ يا حبيبي...
تكونُ أحلى عندما تحاولُ الغيابا
كُنْ في حياتي الشكَّ والعذابا
كُنْ مرّةً أسطورةً...
كُنْ مرّةً سَرابا...
وكنْ سؤالًا في فَمي
لا يعرفُ الجوابا...
من أجلِ حبٍّ رائعٍ
يسكنُ منّا القلبَ والأهدابا
وكَيْ أكونَ دائمًا جميلةً
وكَيْ تكونَ أكثرَ اقترابا
أسألُكَ الذَّهابا...

* * *

لِنَفْتَرِقْ... ونحنُ عاشقانِ...
لِنَفْتَرِقْ برَغْم كُلِّ الحُبِّ والحنانِ
فمِنْ خلالِ الدَمْعِ يا حبيبي
أريدُ أن تراني
ومِنْ خلالِ النارِ والدُخانِ
أريدُ أن تراني...
لِنَحْتَرِقْ... لِنَبْكِ يا حَبِيبي
فقد نَسِينا... نعمةَ البُكاءِ من زَمَانِ
لِنَفْتَرِقْ...
كي لا يصيرَ حُبُّنَا اعْتِيَادَا
وشَوْقُنا رَمَادَا...
وتَذْبُلَ الأزْهَارُ في الأواني...

* * *

كُنْ مُطْمَئِنَّ النفسِ يا صغيري

فلم يَزَل حبُّكَ... ملءَ العينِ والضَّميرِ
ولم أزلْ مأخوذةً بحبّكَ الكبيرِ
ولم أزلْ أحلُمُ أن تكونَ لي...
يا فارسي أنتَ... ويا أميري
لكنَّني... لكنَّني...
أَخَافُ مِنْ عاطفتي
أَخَافُ مِنْ شُعُوري
أخافُ أنْ نسأمَ مِنْ أشواقنا
أَخَافُ مِنْ وِصالنا...
أَخَافُ مِنْ عِنَاقِنا...
فباسْمِ حُبٍّ رائعٍ
أزْهَرَ كالربيع في أعماقِنا...
أضَاءَ مثلَ الشمْسِ في أحداقِنا
وباسْمِ أحلى قِصَّةٍ للحُبِّ في زمانِنَا
أسألُكَ الرَّحيلا...
حتى يظلَّ حبُّنا جميلا...
حتى يكونَ عُمْرُهُ طويلا...
أَسْألُكَ الرحيلا...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

رِسَالة مِن تحتِ الماء

إنْ كُنتَ صديقي..
سَاعِدْني.. كَيْ أرحلَ عنكْ
أو كُنْتَ حبيبي..
سَاعِدْني.. كيْ أُشْفَى منكْ..
لو أنّي أعرفُ أنَّ الحُبَّ خطيرٌ جِدًّا.. ما أحْبَبْتْ..
لو أنّي أعرفُ أنَّ البحرَ عميقٌ جِدًّا.. ما أبْحَرْتْ..
لو أنّي أعرفُ خاتِمَتي..
ما كُنْتُ بَدأتْ..

* * *

إشْتَقْتُ إليكَ..
فعلِّمْنِي أنْ لا أشتاقْ..
علِّمْنِي.. كيفَ أقُصُّ جُذُورَ هَوَاكَ من الأعماقْ
علِّمْنِي.. كيف تَمُوتُ الدَمْعَةُ في الأحداقْ..
علِّمْنِي.. كيفَ يموتُ القلبُ..
وتنتحِرُ الأشواقْ..

* * *

إنْ كُنْتَ نَبِيًّا..
خَلِّصْني من هذا السِحْرْ..
مِنْ هذا الكُفْرْ..
حُبُّكَ كالكُفْرِ.. فطهِّرْني مِن هذا الكُفْرْ..

إنْ كُنْتَ قويًّا.. أخرِجْنِي مِنْ هذا اليَمّْ
فأنا لا أعرفُ فنَّ العَوْمْ..
المَوْجُ الأزرقُ.. في عَيْنَيْكَ..
يُجَرْجِرُني.. نحو الأعْمَقْ..
أزْرَقْ..
أزْرَقْ..
لا شيءَ سوى اللون الأزْرَقْ
وأنا ما عندي تَجْرِبَةٌ
في الحُبِّ.. ولا عِنْدي زَوْرقْ
إنْ كنتُ أعزُّ عليكَ.. فَخُذْ بيدَيَّْ..
فأنا عاشقةٌ.. من رأسي.. حتّى قَدَمَيّْ..
إنّي أتنفَّسُ تحت الماءْ
إنّي أغْرَقْ..
أغْرَقْ..
أغْرَقْ..

قصائِد مُتوحّشة، 1970

كلمة الناشر

نزار قباني لا يحبّ أن يُختزل بقصائد العشق التي كتبها، لكنّها تظلّ من أهمّ ما كتب، هنا مجموعةٌ منها ينشد فيها عشقه للمرأة، للحياة وللإنسان، مجاهراً:

«العالمُ عِشْقٌ... فاتَّحدوا يا أهلَ العشْقْ

(...)

فأنا ما زلتُ أقولُ لكمْ:

لا شيءَ سيبقى إلّا العشقْ... [1] »

العشق! تلك الحالة المتمرّدة على القوانين والتي تدفع بالإنسان للخروج من بوابة الذات لتجعله ينفتح على الآخر، وعلى الكون برمّته.

حسناً، لنعتبر أنَّ هذا تصوّرٌ مثاليّ للعشق، ولكن ما هو رأي نزار قباني، شاعر الحبّ الاستثنائي الذي لا مثيل له، إن في الشرق أو في الغرب؟

يأتينا الجواب الواضح عبر هويّته التي نقرأ فيها:

المهنة: عاشق. الحالة الإجتماعية: عاشق. الشهادات: ليسانس في العشق. [2]

ثم، في حال كنت لا تعرفه حقًّا – بمعنى آخر، اذا لم تكن قد قرأت له شيئًا، أو لم تضطلع إلّا على القليل من كتاباته – فهو يقول بكل بساطة:

«إنّني رسمتُ عشقي على الورق، وألصقتُه على كلِّ الجدران» [3] .

ويلفت قائلًا:

«إنّني لا أبتغي إحراج أيّة امرأة، أو كشف أوراقها. فالتشهير ليس من هواياتي، والتشخيص لا يهمّني أبدًا لأنّ النساء يأتين ويذهبن... كما يأتي الربيع ويذهب... وكذلك الحبّ... فهو مسافرٌ

قصير الإقامة... لا يفتح حقائبه حتّى يغلقها... ويرحل من جديد...

إنّ الحبّ انفعال رائع، بغير ريب، ولكن الأروع منه هي هذه الحرائق التي يتركها على دفاترنا، وذلك الرماد الذي يبقى منه على أصابعنا...

والمرأة هي الأخرى جميلة، ولكنّ الأجمل منها هو آثار أقدامها على أوراقنا... بعد أن تذهب» [4].

يعتقد نزار قباني أنّ الحبّ لا يُحتفل به حصراً في الغرف المغلقة:

«المسرح الحقيقيّ للحبّ هو الحياة اليوميّة. المقاهي، الحدائق العامّة، الجبال، الحقول، دور السينما، المسارح...

الحبُّ يتسكَّع في الأزقَّة الضيّقة، يتبلَّل بالمطر... يقف أمام أكشاك الجرائد... يشرب القهوة الإكسبرسو... يُدخّن كلّ أنواع السجائر... يركب القطارات... ينتظر في قاعات الترانزيت في المطارات... يدخل إلى المطاعم ولا يأكل شيئًا... يشتري كلّ الصحف اليوميّة ولا يفهم شيئًا... يرى العروضَ المسرحيّة ولا يرى شيئًا...

عن هذا الحبّ أكتب» [5]...

ويضيف:

«لا يُمكن الحديث عن الرجل والمرأة، بمعزلٍ عن التاريخ، وبمعزلٍ عن الوقائع الإجتماعيّة والإقتصاديّة والسياسيّة...

كلُّ مرحلةٍ لها موقفُها، ولها شِعْرُها، ولها مُفْرَداتُها.

ومن تحصيل الحاصل القول إنَّ ما أكتبه اليوم، على صعيد الحبّ، مختلفٌ عن كتاباتي في الأربعينات. والمرأة التي غنَّيتُها في الخمسينات هي غير المرأة التي أُغنّيها في الثمانينات...

في الأربعينات كانت المرأةُ عندي غزالًا... أو وردةً... أو فراشةً ربيعيّة... أمّا في الخمسينات وما بعدَها، فهي أرضٌ نُقاتل عليها، ونقاتلُ من أجلها، وهي جزءٌ أساسيّ من أحزان هذه المنطقة، ومن قلقها... ومن كَبْتها وقَمْعها وكوابيسها [6].

الجنس هو عقدة الأفاعي في المجتمع العربي، وهو أساس صداعنا المزمن...

وأنا أعتقد – وربّما كنت على خطأ – أنّ ثورة الجائعين إلى الخبز، يجب أن تكون متزامنة مع ثورة الجائعين إلى الجنس. (...) إنّ الكتابة عن جسد المرأة الجميلة ليست فضيحة... ولكنّ الكتابة عن وجه الخليفة الذي يشبه ليلة القدر... وقامته التي تشبه قامة السيف... ولحيته المخضَّبة بالمِسْك... والكافور... هي فضيحة الفضائح» [7].

«كيف يتعامل شاعرنا مع الجمال الأنثوي الباهر؟

– كما تتعامل الفراشة مع الشمعة...

– لماذا يفضّل نزار قباني الليل على النهار؟

– حتّى أتفرَّغ لعيون فاطمة...

– باعتقادك لماذا خسر العالم الحديث إحساسه بالحبّ؟...

– لأنّه حمار... [8]

– كيف تحبّ الآن؟

– ليس هناك كتاب تعليم في الحبّ... كما يوجد كتب لتعليم قيادة السيّارات...
لو كانت هناك كتب من هذا النوع، لأصبح كلُّ الرجال وكلُّ النساء «دكاترة» في فنّ العشق...
الذي أتصوَّره، أنّ الحبّ يعلّم نفسه بنفسه، كما يطير العصفور دون أن يدخل مدرسة طيران...
وكما تسبح السمكة دون أن تدخل سلاح البحريّة...
«كيف أحبُّ الآن؟»
لم أفكِّر أبدًا في هذا الموضوع. فالذي يفعل الشيء لا يفكِّر فيه...
هل تعرف الغمامة كيف تُمطر؟
والشجرة كيف تُزهر...
والتفّاحة كيف تسقط؟
أنا أيضًا لا أعرف كيف يدخل الحبُّ إلى قلبي... وفي اليوم التالي، تخرج منه حمامة بيضاء...

---

1 «أشعارٌ خارِجة على القَانون»، 1972.
2 «ما هُو الشِعْر؟»، 1981.
3 «قِصَّتي مع الشِعْر»، 1970.
4 من تمهيد ديوان «مِئَة رسالة حُبّ»، 1970.
5 «المرأةُ في شِعْري وفي حَياتي»، 1975.
6 من تمهيد ديوان «مِئَة رسالة حُبّ»، 1970.
7 «لعبتُ بإتقانٍ وها هي مفاتيحي»، 1990.
8 «لعبتُ بإتقانٍ وها هي مفاتيحي»، 1990.